الجمهـــورية الجزائـــريـــة الديمقـــراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليـــم العـــالي والبحث العلمـــي

جـــامعة الأمير عبد القادر
للعلـــوم الإسلاميـــة
- قسنطيـــنة -

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قســـم : اللغة العربيـــة

البـــديع في سورة مريـــم
- دراسة جمالية -

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللّغة العربية

إعـــداد الطـــالبة :
سهـــام صيـــاد

إشـــراف الأستاذ الدكتور :
رابـــح دوب

- لجنـــة المنـــاقشـــة -

أعضـــاء اللجنـــة	الاسم واللقب	الرّتبـــة	الجامعة الأصلية
1 - الـــرئيس	ناصر لوحيشي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
2 - المشرف والمقرر	رابـــح دوب	أستـــاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
3 - العضـــو	ذهبية بورويس	أستاذة محاضرة	جامعة الأمير عبد القادر
4 - العضـــو	صالح غريبي	أستاذ محاضر	جامعة تبســـة

- السنـــة الجـــامعية -

- 1427-1428 / 2006-2007 -

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

- انطلاقا من قـــوله -ﷺ- : ﴿ من لا يشكر النّاس لا يشكر الله ﴾

- واعترفًا مني بالجميل والعرفان والفضل. أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الدكتور : "**رابح دوب**" الذي كان خير معين وخير سند. والذي لـــم يتوان عن تقديـــم النصـــح والإرشاد والتوجيه إلى أن خرجت هذه الرسالة إلى النور. فجزاه الله خير الجزاء على ذلك.

- كما أتوجه بخالص الشكر إلى كل من الأساتذة الآتيـــة أسماؤهم :
سكينة قدور – عبد الوهاب شيباني – ناصر لوحيشي – عزيزة سلولة.
وكل أساتذة قسم اللّغة العربية داخل الأمير وخارجه.

- ولا أنسى شكر أعضاء لجنة المناقشة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله الذي فضلنا بالقرآن على الأمم أجمعين. وأتانا به ما لم يؤت أحد من العالمين. أنزله هداية للبشر أجمعين، وجعله للشرائع السماوية خاتمة. والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن، ووصيته القرآن، القائل : ﴿ خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ ﴾.

لقد دأب العلماء على مر العصور يدرسون سر الإعجاز في القرآن الكريم. هذا الكتاب الذي تحدى الإنس والجن لما فيه من عجائب لا تنتهي. لهذا أخذوا يبحثون عن مواطن إعجازه، فمنهم من رأى أنّه معجز بأخباره الغيبية. ومنهم من رأى أنّه معجز بالصرفة. ومنهم من رأى أنّه معجز ببلاغته، هذه البلاغة التي قسمت إلى بيان، ومعان، وبديع.

والبديع لا يعدو حلية زائدة، بل هو وسيلة من وسائل التصوير القرآني لأنّه لا يقف عند تجانس لفظتين، أو تقابل عبارتين أو ترديد كلمتين. بل يتعدى ذلك إلى إثارة مخيلة المتلقي، ومخاطبة سمعه، وبث الاندهاش في نفسه. وحمل ذهنه على التحليل والتركيب.

وبالتالي فإن موضوع البحث يدور في هذا الفلك لهذا اصطفيت له عنوان : "**البديع في سورة مريم دراسة جماليه**" محاولة من خلال هذا البحث التأكيد على قيمة البديع في الإعجاز القرآني.

وتمكن أهمية الدراسات التي تعالج قضايا القرآن الكريم فيما تكشفه من عظمة هذا الكتاب الخالد، وإقامة الحجة على أنّه لا يمكن أن يكون نتاج جهد بشري، يعتريه النقص في سائر أحواله.

وإن بلاغة القرآن من إحدى الأوجه التي تثبت يقينا أن القرآن معجز ببلاغته ونظمه وفصاحته. وهذا السر موجود في القرآن محفوظ فيه، لا يتغير ولا يبلى مع الزمن. لهذا قال عز من قائل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : 09].

ومن هذا المنطلق تتجلى أهمية هذا الموضوع، من حيث محاولة الكشف عن بعض المظاهر البديعية في سورة من سور القرآن المكي، والوقوف على ما احتوته من جمال في المعنى واللفظ، لأنّ القرآن معجز بحروفه وكلماته وتراكيبه.

- إضافة دراسة علمية أكاديمية إلى المكتبة العربية، وبحث آخر يضم إلى جهود الباحثين في هذا الميدان الشريف.

- التعرف على مدى صحة الرأي القائل : إن البديع هو ذيل لعلمي المعاني والبيان.

- وأما الهدف الأساس من هذه الدراسة هو خدمة القرآن ولو بجزء بسيط. لأنّه الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه. ولا تدرك أغواره إلا بالتدبر والتفكّر العميق.

ومن هذه الأهمية كان اختياري لهذا الموضوع الذي دفعتني إليه أسباب أهمها :

- غنى القرآن الكريم وتجدد عطاءاته التي تنتظر من يخرج خبأها، أو ليس هو الكتاب الذي أبهر العقول وسلب القلوب.
- تحقيق هدف طالما تمنيته واجتهدت له. وهو أن أتكرم بدراسة جانب من جوانب القرآن الكريم.
- إن اختياري لسورة مريم لم يكن وليد الصدفة ولا جاء اعتباطا.

فقد أودع فيها -ﷻ- من الخصائص والمزايا ما يغري بالبحث. خاصة السر الموجود في كل فاصلة من فواصلها. حيث كل فاصلة تحمل في طياتها موقفًا معينًا. مع علمنا أنّه لا تفاضل بين سور القرآن الكريم.

ولقد كثرت نواحي الإعجاز البياني في آيات القرآن الكريم، حتى فاضت بها المؤلفات، وهي لم تبلغ ما ترمي إليه من إيضاح، مكامن الإعجاز في الآيات. والعذر في ذلك مقبول. وهو أن هؤلاء بشر، وهو كلام المولى -ﷻ-.

وقد وردت نواحي الإعجاز البياني في كل سورة من سور القرن الكريم، وحفلت آيات سورة مريم بخضم زاخر من هذا الإعجاز الرائع. لكن الإشكال المطروح يتمثل في حظ البديع من القرآن الكريم والدور الذي يلعبه فيه، وخاصة في سورة مريم. والسبب الذي أدى إلى هذا القول هو تكلف الأدباء والشعراء في استعماله، وفي اختراع تقسيمات عدة والتي تجاوزت المئة، وفي تأليف القصائد التي يحتوي كل بيت شعري منها على محسن بديعي أو أكثر، كل هذا أدى إلى المقارنة بين بديع القرآن وبديع الشعراء. وهل يمكن في هذه الحالة أخذ الإعجاز من هذا الفن. وكل هذا أدى إلى إثارة تساؤلات عديدة منها :

- إلى أي مدى يمكن أن نقف على الجانب الجمالي والفني لظواهر البديع، وتحديدًا في سورة مريم لنقف على إعجازه ؟

وهذه الإشكال يهدي إلى طرح أسئلة عديدة حول البديع ودوره في الإعجاز، وأجملها فيما يأتي :

- فيم تتجلى القيم الجمالية والفنية التي تحملها ظواهر البديع في سورة مـــريم، ومـــا هـــي الإسهامات التي قدمتها للغة ؟.

- ما هو الدور الحقيقي لهذا العلم ؟ وهل يمكننا أن نعُدُّه صنعة وتكلفًا، أم أن له دورًا أعمق من هذا بكثير ؟.

وأما الدراسات التي تناولت البديع وطرق جماله وتأثيره في البلاغة العربية عديدة، وكـــل واحد من العلماء حاول أن يعالجه بالمنظار الخاص به. أو أن يحقق هدفًا معينًا من دراسته للبـــديع. فنجد على سبيل المثال لا الحصر :

- ابن المعتز الذي ألف كتابه "البديـــع" ليبرهن على أنّ البديع الذي افتخر به المحدثون، كان موجودا في القرآن الكريم وفي أشعار الإسلاميين والجاهليين من قبلهم.

- أما الباقلاني فقد تحدث عن البديع. وخاصة البديع الذي أتى به الرماني. لكي يثبت فكرة واحدة : وهي أن البديع لا يدخل في الإعجاز القرآني لأنّه مما يمكن التدرب عليه وتعلمـــه بسهولة.

وتحدثت كتب أخرى عن البديع مثل : الصناعتين للعسكري، مفتـــاح العلـــوم للـــسكاكي وغيرهما.

أما الرسائل الجامعية فما تسنى لي الإطلاع عليه كان حول تفسير سورة مريم وهي كالآتي :

- "الوحدة الموضوعية في سورة مريم" رسالة ماجستير من إعداد الطالبة : حدة سابق، بجامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، 2003م.

ووجدت في دليل الرسائل المسجلة والمناقشة بالمدينة المنورة الرسائل الآتيـــة :

- "التوحيد والتنـــزيه في سورة مريم" للأستاذ عبد المجيد طهماز.

- "تفسير سورة مريم" للدكتور محمد البهي.

- "تأملات في سورة مريم " للدكتور حسن محمد باجودة.

ولقد تطلب مني هذا البحث اللجوء إلى مناهج البحث العلمي المعتمدة والضرورية لتحقيـــق أهدافه. وأهم هذه المنـــاهج :

- المنهج التـــاريخي : حيث يتلاءم مع طبيعة التعاريف والآراء التي دارت حول الموضـــوع في كتب البلاغة، والتفسير، وعلوم القرآن.

- كما اعتمدت المنهج التحليلي، في الجانب التطبيقي من البحث عنـــد اســـتخراج الـــصور البديعية وتحليلها، وهذا من أجل الكشف عن الجانب البلاغي الذي تحتويه كل صورة من الـــصور البديعية الموجودة في سورة مـــريم.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن أقسمه إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة، وقد قسمت كل مبحث إلى عناصر حسب ما تقتضيه المادة العلمية.

أما المدخل فخصصته للحديث عن علم البديع وعن بداياته الأولى، وكيف تطـــور حتّـــى أصبح علمًا مستقلا بذاته هذا في شطره الأوّل.

أمّا الشطر الثاني فقد خصص للتعريف بسورة مريم، ووجه مناسبتها لما قبلها وما بعـــدها، وأهم المحاور التي تضمنتها وهذا تسهيلا لفهم الجانب التطبيقي للبحث.

وأما الفصل الأوّل والثاني، فقد تحدثت فيهما عن المحسنات البديعة المعنويـــة واللفظيـــة في السورة. حيث استخرجت كل محسن على حدة، وشرحته وبينت ما فيه من بلاغة ومن إعجاز في علم البديع.

وفي الفصل الثالث تناولت الإيقاع، وحاولت أن أبرز جماليته من خلال الحـــديث عـــن : الحروف، والمدود، والمفردة، والجملة.

ثم خلصت إلى خاتمة، ضمنتها نتائج البحث.

وقد رجعت في هذه الدراسة إلى بعض كتب التفسير وعلوم القرآن وعلوم اللغة ومن هذه الكتب نذكر :

1. **كتب التفسيـــر** : الكشاف للزمخشري، في ظلال القرآن للسيّد قطـــب، روح المعاني للألوسي، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور.
2. **كتب الإعجـــاز** : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت في إعجاز القرآن). وإعجاز القرآن للباقلاني. وإعجاز القرآن للرافعي. والإعجاز الفني في القرآن لعمر السلامي.

3. **كتب علوم القرآن منها** : البرهان للزركشي. والإتقان للسيوطي. والنبأ العظيم محمد عبد الله دراز. بعض كتب فاضل صالح السامرائي منها : بلاغة الكلمة في تعبير القرآن، والتعبير القرآني.

4. **المعاجم** : وكان أهمها : لسان العرب، ومعجم علوم البلاغة لإنعام فوال عكاوي.

وأتقدم لمن قال : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم : 07]، بالحمد الكثير القاصر على ما أعطانا من فضل ونعم، ومن عظم إحسانه وما عاون الخالق المرء إلا وجد عسير الأمال ميسرًا.

وإذا كان من تمام الواجب شكر ذوي الفضل فإنني أتقدم بالشكر والعرفان لأستاذي الدكتور : "رابح دوب"، الذي لم يتوان في تقديم التوجيهات والنصائح التي ساعدتني في إنجازهذا البحث. فجزاه الله خير الجزاء.

كما أشكر كل من ساعدني على إتمام هذا البحث، وصبر معي عليه، وقاسمني همه.

[والحمد لله أولا وأخيرا]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المدخل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1/- البـــديع :

البديع ليس حلية ولا زينة يستغنى الكلام عنها. ولا زخرفة يأتي دورها. بعـــد أن يكـــون المعنى قد استوفى تمامه. ولا يجيء مكانه في المرتبة الثالثة بعد استيفاء علمي المعاني والبيان حقهما.

والبديع ناحية من نواحي الزخرفة والرونق في كل كلام بشري. مهما كانت لغته. لكـــن استعماله في لغة العرب كان بكثرة.

وقبل أن نلج بحث المفهوم الاصطلاحي. الذي دار حوله معنى البـــديع. يحـــسن بنـــا أولا البحث في أصل الكلمة لغويًا.

وما هي الأصول الأولى لهذا الفن ؟ وكيف تطور مدلوله عبر مختلف العصور ؟ وما هـــي أشهر المؤلفات التي صنفت فيه ؟ ومتى أصبح علمًا مستقلا بذاته ؟

إن كلمة البديع تطلق فيراد بها : بَدَعَ الشّيء يَبْدَعُهُ بَدْعًا وابْتَدَعَهُ أَنْشَأَهُ وبَـــدَأَهُ. وَبَـــدَعَ الرَّكِيَّة : اسْتَنْبَطَهَا وأَحْدَثَهَا[1].

والبَديعُ والبِدْعُ. الشيء الذي يكون أولا[2]. وفي التنـــزيل قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : 09]، أي ما كنت أول من أرسل. قد أرسل قبلي رُسُل كثير.

ولا يخرج معنى كلمة "البـــديع" في المعاجم الأخرى عن معنى الجدة والبراعة. وهي مـــن الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم :

كقوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة : 117]، وقوله كذلك : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : 101].

كما وردت في الشعر كقول عدي بن زيـــد :

---

(1) - لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، تحقيـــق : عبـــد الله علـــي الكـــبير وآخـــرون، د.ط، [دار المعارف. القاهرة. مصر. د.ت]، مـــادة (ب.د.ع)، ج1، ص : 229.

(2) - العيـــن : أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيـــق : مهـــدي المخزومـــي. إبـــراهيم الـــسامرائي، ط1. [مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت. لبنان. 1408هـــ-1988م]، مـــادة (ب.د.ع)، ج2، ص : 54.

فَلاَ أَنَا بِدْعٌ مِنْ حَوَادِثَ تَعْتَـــرِي ∴ رِجَالاً عَرَتْ مِنْ بَعْدِ بُؤْسِي وَأَسْعُـــدُ[1].

أما عن الأصول الأولى لنشأة البديع كعلم وفن من فنون البلاغة العربية. فقد كان البـــديع مستعملا في الشعر والنثر منذ الجاهلية. لكنه كان عفويًا تلقائيًا غير مقصود لذاته ولا معرف باسم خاص، كان هذا في الأسواق والأندية مثل : المربد وعكاظ.

ونلتمس أوّليات هذا العلم في محاولة قـــام بهـــا الـــشاعر العباســـي المعـــروف بـــصريع الغواني[2](208هـــ) الذي وضع مصطلحات لبعض الصور البيانية والمحسنات اللفظية والمعنوية مـــن الجناس والطباق[3].

ونجد الجاحظ (255هـــ) أطلق البديع على فنون البلاغة المختلفة، لكنه لم يوضـــح هـــذه الفنون، بل كان يطلقه كمصطلح عام. وقد ورد هذا المصطلح عدة مـــرّات في كتابـــه "البيـــان والتبيين" عند تعليقه على قول : الأشهب بن رميلة.

إنّ الألى حانت بِفَلْجٍ دماؤُهُمْ ∴ هُمْ القوم كلُّ القوم يا أُمَّ خالد.
هُمْ ساعد الدّهر الذي يُتّقى به ∴ وما خير كفٍ لا تنوءُ بساعدِ[4].

قوله "هم ساعد الدهر" إنما هو مثل. وهذا الذي تسميه الرواة البديع[5] لم يصرح الجـــاحظ بأسماء الرواة، ولقد ذكرهم أحمد أحمد فشل في كتابه وهم :

---

(1) – جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام : أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق : علي محمد البجاوي، ط1 [دار نهضة مصر للطبع والنّشر الفجالة القاهرة مصر دت] ص : 489.

(2) – صريع الغـــواني : هو مسلم بن الوليد : شاعر غزل. هو أوّل من أكثر من "البديع" وتبعه الشعراء وهـــو مـــن أهـــل الكوفة. نزل بغداد فأنشد الرشيد العباسي قوله :

وما العيش إلا أن تروح مع الصبى ∴ وتغدو صريع الكأس والأعين النجل.

فلقبه بصريع الغواني عرف به ينظر، الأعلام، خير الدين الزركلي. ط7، [دار العلم للملايين بيروت. لبنـــان. مـــايو. 1986م]، مج7، ص : 223.

(3) – البديـــع. ابن المعتز. تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي. ط1، [دار الجيل. بيروت. لبنان. 1410هـــ-1990م]، ص : 151.

(4) – وقد روى سيبويه هذا البيت "وإن الذي حانت"، الكتاب : أبو بشر عمر بن قنبر سيبويه، تحقيـــق : عبـــد الـــسلام هارون، ط3، [مكتبة الخانجي. مصر. 1308هـــ – 1988م]، ج1، ص : 187.

وينظر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : البغـــدادي، تحقيـــق : عبـــد الـــسلام هـــارون، ط1، [مكتبـــة الخانجي. مصر 1406هـــ – 1986م]، ج6، ص : 07.

(5) – البيـــان والتبيـــين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق : عبد السلام هارون، ط2، [مكتبـــة الخـــانجي. مـــصر. 1406هـــ – 1986م]، ج4، ص : 55.

أبا عبيدة معمر بن المثنى فيما ذكره من وجوه البديع في كتابه (مجاز القرآن) و(النقائض)، والأصمعي صاحب كتاب (الأجناس)، والفراء فيما ذكره من وجوه البديع في كتابه (معاني القرآن). والنص المتقدم حاسم الدلالة في أن الجاحظ ليس أوّل من سمى تلك الوجوه البلاغية بديعا[1].

ويظهر من استعمال الجاحظ لهذا المصطلح، أنه يراد به جانب الطرافة والبراعة، ويقصره على الأساليب الجديدة.

وأحيانا يستخدم هذا المصطلح "البديع"، ويذهب به إلى أنه مقصور على العرب، أو أنه يستخدمه كذلك لتحديد طابع كل شاعر. من رواد البديع لهذا نجده يقول :"والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة. وأربت على كل لسان، والراعي كثير البديع في شعره. وبشار حسن البديع و العتابي، يذهب في شعره مذهب بشار" [2].

ولعل أول محاولة علمية جادة في ميدان البديع هي تلك التي قام بها الخليفة العباسي. ولي الخلافة يوما وليلة. ثم مات مقتولا و قيل مخنوقا سنة(299هـ). وهو عبد الله بن المعتز، حيث جمع صور البديع وضمها في كتاب واحد. حيث نظر في القرآن، وفي شعر العرب ونثرها. فرأى صورا خرج فيها الاستعمال، عن أصل وضعه في اللغة، وصورا برز فيها عنصر التخيل، واستطاع أن يجمع منها خمسا : الاستعارة، التجنيس، ورد الإعجاز، المطابقة والمذهب الكلامي.

ورأى أن هذه جملة أبواب هذا الفن ولذلك قال : "قد قدمنا أبواب البديع الخمسة وكمل عندنا" [3].

ونجد ابن المعتز لا يسمي ألوان البديع كلها بهذا الاسم بل اقتصر على خمسة منها فقط، والباقي فقد سماه بـ : "محاسن الكلام"[4].

والذي نستطيع استنتاجه من هذه التفرقة، أنه أراد أن يبين لنا أن الأنواع الخمسة، التي تحمل اسم "البديع" يقصد بها الابتكار. اشتقاقا من كلمة الإبداع. مصدر لأبدع.

على حين أن الأنواع الثلاثة عشر الأخرى، لا يقصد بها إلا الحسن والجمال. ولا شك أن

---

(1) – علم البديع : رؤية جديدية، أحمد أحمد فشل، د.ط، [دار المعارف. القاهرة. مصر. 1996م]، ص : 25.

(2) – المصدر السابق : ج 4، ص 55 – 56.

(3) – البديع : ابن المعتز. ص : 151.

(4) – الالتفات، الاعتراض، الرجوع، حسن الخروج، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تجاهل العارف، الهزل يراد به الجد، حسن التضمين، التعريض والكناية، الإفراط في الصفة، حسن التشبيه، لزوم مالا يلزم، حسن الابتداء.

الجمال، والحسن أقل قيمة من الإبداع.

واتفقت كلمة الدارسين، على أن السبب الذي دفع ابن المعتز إلى تأليف هذا الكتاب، هو الرد على من زعموا أن بعض الذين عاصروه، من أمثال : بشار بن برد، وأبي نواس، ومسلم بن الوليد الأنصاري. هم الذين اخترعوا البديع في شعرهم، وأحدثوه من عدم. إذ لم يكن معروفا -حسبهم- لدى شعراء الجاهلية ومن تلاهم...؟

بالرغم من أن ابن المعتز أول من خص علم البديع بكتاب. وأول من صنف كتابا بلاغيا صرفا. إلا أنّه لم يكن يقصد البديع بمعناه الخاص، بل قصد مدلوله العام، الذي كان شائعا في عصره وهو شموله لكل فنون البلاغة و ألوان البيان.

وظل الأمر على حاله من حيث إطلاق لفظ البديع على كل فنون البلاغة حتى القرن (4هـ). وهو عصر الروماني (296هـ-384هـ) الذي تميز بدراسة معمقة ومبتكرة للبلاغة. والمنصبة أساسا على بلاغة القرآن الكريم. ولقد ظل البديع عنده يعني البلاغة التي قسمها إلى عشرة أقسام وهي :

الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف، التضمين، المبالغة، حسن البيان.

وفي نفس العصر ظهر كتاب " الصناعتين " لأبي هلال العسكري(395هـ). الذي جعل البديع في الباب التاسع، مشتملا على خمسة وثلاثين فصلا في مائة وخمس وستين صفحة.

لكن أبي هلال تكلم باقتضاب عن فن البديع مبينا قيمته الجمالية لا معرفا لحقيقته العلمية فقال : "إن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف، وبرئ من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة" [1].

وفي القرن الخامس الهجري تزداد علوم البلاغ، استقلالا وتحديدا. إذ يبدو من خلال بعض المؤلفات في هذا القرن. أنّه بدأ يستقر في الأذهان أن البيان شيء والبديع شيء آخر.

فقد أورد ابن رشيق القيرواني (463هـ) في كتابه " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" أبوابا خاصة لمباحث علم البيان. وأخرى تهتم بدراسة البديع، وقد ذكر فيه تسعة وعشرين نوعا من أنواع البديع.

---

(1) - الصناعتين : الشعر والنثر : أبي هلال العسكري، تحقيق : على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط [المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. لبنان. 1406هـ - 1986م]، ص : 267.

وإذا كان عبد القاهر الجرجاني (471هـ)، معاصرا لابن رشيق. إلا أن علوم البلاغة بلغت عنده شأوا كبيرا، ونضجا وازدهارا عظيمين، فهو واضع علم المعاني، وله فضل كبير على علم البيان. إلا أن "علم البديع" كان حظه من اهتمام عبد القاهر محدودًا جدًا.

ولكن المتصفح لكتابيه "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة". يجد حديثا قيما عن التجنيس، والسجع وهما من فنون البديع.

ومما يلاحظ على المتكلمين في القرن الخامس الهجري، من الباقلاني إلى عبد القاهر الجرجاني. أنهم كانوا ينحون البديع عن مباحث أسرار البلاغة، و ذلك لأن جهودهم البلاغية كانت مركزة على القرآن الكريم. و يرون أن أغلب ألوان البديع مستحدث.

وعلى نفس الطريقة سار الزمخشري (538هـ) يطبق أفكار الجرجاني، حيث نجده مثلا يقول في قوله تعالى :﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ ﴾ [النمل : 22]. حيث قال في ["من سبأ بنبأ" من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع، وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ. بشرط أن يجيء مطبوعا، أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده. ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظًا ومعنى][1].

ومن هذا القول نجد إن الزمخشري لا يعني في تفسيره "الكشاف" بما جاء في آيات القرآن من البديع إلا عرضا لأنه لم يكن يعد البديع علما مستقلا من علوم البلاغة وإنما هو ذيل لهما[2].

وقد كانت نظرته هذه إلى البديع، سببا في عدم وقوفه طويلا، أمام ما ورد في القرآن الكريم من فنون بديعية. ومن ثمة فالزمخشري في ميدان البلاغة رجل بيان لا بديع.

ثم جاء المتأخرون الذين اهتموا بالتقعيد والتدقيق وضبط التعاريف. وعلى رأسهم أبو يعقوب السكاكي (626هـ) في كتابه "مفتاح العلوم" في القسم الثالث، فأعطى لعلمي المعاني والبيان صفتهما النهائية ولخص فنونهما، لكنه إزاء الألوان البديعية لم يجعلها علما بلاغيا قائما بذاته بل جعله ذيل لهما.

ثم أتى بدر الدين بن مالك (686هـ). الذي لخص في كتابه "المفتاح"، القسم الثالث من "مفتاح العلوم"، وأطلق مصطلح "البديع" على هذا القسم.

---

[1] - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : محمود بن عمر الزمخشري، د.ط، [دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. د.ت]، ج3، ص : 360.

[2] - البلاغة تطور وتاريخ : شوقي ضيف، ط8، [دار المعارف. القاهرة. مصر. د.ت]، ص : 265.

وقـــال في تعريفه : "هو معرفة توابع الفصاحة" وقـــال عن المحسنات إنها << مما يكـــسو الكلام حلة التزيين، ويرقيه أعلى درجات التحسين، ويتفرع منها وجوه كثيرة يصار إليها في باب التحسين>>[1].

وهذه المحسنات قسمها إلى لفظية ومعنوية، والمعنوية إما مختصة بالإفهام والتبيين أو مختـــصة بالتزيين و التحسين.

و هذا تقسيم جديد آخر، لم نألفه عند السكاكي أو غيره من البلاغيين.

وبعده نجد الخطيب القزويني (739هـــ)، الذي فصل البديع فصلا تاما عن البلاغة. الـــتي جعلها محصورة في علمي المعاني والبيان.

ولقد عرف البديع قائلا << علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقية علـــى مقتضى الحال ووضوح الدلالة>>[2].

وهناك تعريف آخر يجمع بين الشمول والدقة. وهو تعريف العلامة ابن خلدون(808هـــ) حيث يقول <<وألحقوا بهما صنفا آخر وهو النظر في تزيين الكلام وتحسينه، بنوع من التنميق إما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع يقطع أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما وأمثال ذلك ويسمى عندهم علم البديع>>[3].

ونستطيع القول مما سبق إن البديع هو البلاغة في أسمى درجاتها فالأسلوب المتميز المبتدع، هو الذي يؤدي إلى البلاغة، وهو الذي يعطيها البديع، و بالتالي تكون الفنون البلاغية كلها، فنونا لتحقيق درجة الإبداع، وهي أوعية نحاول أن نصب فيها ابتكاراتنا وإبداعاتنا.

وأما الفنون البديعية اللفظية منها والمعنوية. هي الفنون التي نحاول من خلالها تحقيق الإبداع والابتكار والتميز والفن الجميل.

---

[1] - فنون بلاغية "البيان والبديع" : أحمد مطلوب، ط1، [دار البحوث العلميـــة. الكويـــت. 1395هـــ- 1975م]، ص : 205-206.

[2] - الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، تحقيق : محمد عبد المـــنعم حقـــاجي، د.ط، [الشركة العالمية للكتاب. بيروت. لبنان. 1989م]، ص : 477.

[3] - المقـــدمة : عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، د.ط، [مطبعة مصطفى محمد. مصر. د.ت]، ص : 551.

2/- بين يدي السورة

1 - التسمية :

اسم هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وأكثر كتب السنة، سورة مريم تخليدًا لتلك المعجزة الباهرة في خلق إنسان بلا أب.

وقال الألوسي : المشهور تسميتها بذلك ورويت عن الرسول -ﷺ-. فقد أخرج الطبراني وأبو نعيم، عن أبيه عن جده، قال : أتيت رسول الله -ﷺ-. فقلت : ولدت لي الليلة جارية. فقال : ﴿ *والليلة أنزلت علي سورة مريم* ﴾. وجاء فيما روي عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهم- تسميتها [كهيعص] [1].

وهي سورة مكية كما روي عن عائشة وابن عباس، وابن الزبير -رضي الله عنهم- وقال مقاتل : هي كذلك إلا آية السجدة فإنها مدنية[2].

2 - نزولها :

أخرج النحاس وابن مردوية عن ابن عباس قال : أنزلت بمكة سورة [كهيعص]، وأخرج ابن مردوية عن ابن الزبير قال : نزلت سورة مريم بمكة.

وأخرج أحمد وابن أبي حاتم والبيهقي، في الدلائل عن أم سلمة أن النجاشي. قال لجعفر ابن أبي طالب : هل معك مما جاء به يعني : رسول الله -ﷺ-. عن الله شيء ؟ قال : نعم، فقرأ عليه صدرا من [كهيعص]. فبكى النجاشي حتى أخظل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخظلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلى عليهم، ثم قال النجاشي : إن هذا و الذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة[3].

([1]) - روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني : أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي التعدادي، د.ط، [دار الفكر بيروت. لبنان. 1414هـ - 1994م]، مج9، ح16، ص : 82.

([2]) - الأساس في التفسير : سعيد حوي ، ط5، [دار السلام. القاهرة. مصر. 1419هـ - 1999م]، مج 6، ص : 3247 .

([3]) - فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير : محمد بن علي الشوكاني، ط2، [مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. 1383هـ - 1964م]، ح3، ص : 320.

3 - ترتيبهـــا وعدد آيـــاتها :

سورة مريم مكية وعدد آياتها تسعة وتسعون آية، حروفها ثلاث آلاف وثمان مائة واثنان، كلماتها ألف ومائة واثنتان وستون[1]. وهي التاسعة عشر حسب ترتيب المصحف، تسبقها الكهف وتليها طه.

وأما باعتبار الترتيب النزولي فتعد الثالثة والأربعين وقيل الرابع والأربعين [2].

ولقد ورد اسم مريم في القرآن أربعا وثلاثين مرة، اقترنت بـــذكر عيـــسى -عليه السلام- في ثـــلاث وعشرين آية.[3] وانفردت بالذكر في إحدى عشر آية[4].

ولقد أبرزت سورة آل عمران تبشير الملائكة مريم بالتكريم ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [آل عمران : 42-43]. فالاصطفاء والاجتباء، وطهارة النفس بكـــريم الأخـــلاق، وجميل الصفات، والتفرغ لعبادة الله وحده، جعلها ترتقي إلى درجة الـــصديقين ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة : 75].

4 - منـــاسبتها لمـــا قبلهـــا:

اشتملت السورتان [الكهف ومريم] على قصص عجيبة فسورة الكهف اشتملت على قصة أصحاب الكهف. وطول لبثهم هذه المدة الطويلة بلا أكل ولا شرب، وقصة موسى مع الخضر وما فيها من المثيرات و قصة ذي القرنين.

---

(1) - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، تحقيق : محمد علي النجـــار. د.ط، [المكتبة العلمية، بيروت، لبنان]، ج1. ص : 305.

(2) - التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور، د.ط، [دار التونسية للنشر. تونس. المؤسسة الوطنية للكتـــاب. الجزائـــر 1984] ج 16، ص : 58.

(3) - ســـورة البقرة : الآيـــة 86-251، ســـورة آل عمران : الآيـــة 45 ، ســـورة النساء : الآيـــة 156-170، ســـورة المائدة : الآيـــة 19-19-48-74-77-80-112-114-116-118، ســـورة التوبة : الآيـــة 31، ســـورة مريم : الآيـــة 33، ســـورة المؤمنون : الآيـــة 51، ســـورة الأحزاب : الآيـــة 07، ســـورة الحديـــد : الآيـــة 26، ســـورة الزخرف : الآيـــة57، ســـورة الصف : الآيـــة 06-14.

(4) - ســـورة آل عمـــران : الآيـــة 36-37-42-43-44-45، ســـورة النـــساء : الآيـــة 155-170، ســـورة مريم : الآيـــة 15-26، ســـورة التحريم : الآيـــة12.

وسورة مريم فيها أعجوبتان : قصة ولادة يحي بن زكريا -عليهما السلام-. حال كبر الوالد وعقم الوالدة. أي بين شيخ فان وعجوز عاقر. وقصة ولادة عيسى -عليه السلام- من غير أب[1].

5 - محاورها:

موضوع السورة كسائر السور المكية هو تقرير التوحيد، و تنزيه الله -جل وعلا- عما لا يليق به. وتثبيت عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء. ومحور هذه السورة يدور حول التوحيد والإيمان بوجود الله ووحدانيته وبيان منهج المهتدين ومنهج الضالين.

حيث افتتحت هذه السورة المباركة الكريمة ببعض الأحرف المقطعة التي بُدئت بها بعض سور الكتاب العزيز، تلك الأحرف التي سقيت للتحدي ولا يعلم معناها إلا الله -سبحانه وتعالى-.

ثم عرضت السورة لقصة جماعة من الأنبياء ولقد استغرق الحديث عنهم حوالي ثلثي السورة، وقصصهم أتت على النحو الآتي :

1 - الحديث عن قصة زكريا و يحي -عليهما السلام- من الآية (02) إلى (15) ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ ... وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾.

حيث افتتحت السورة بقصة ولادة يحي بن زكريا -عليهما السلام-. من أب شيخ كبير، وأم عاقر لا تلد. ولكن الله قادر على كل شيء، يسمع دعاء المكروب. ويستجيب لدعاء الملهوف. فرزقه الولد الغلام النبيه، الذي قال عنه : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[مريم : 12].

2 - الحديث عن قصة مريم وابنها عيسى -عليه السلام- من الآية (16) إلى (40). ﴿ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ... وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾.

إن حادث ولادة عيسى بن مريم يكون أعجب ما شهدته البشرية في تاريخها كلها. ويكون حادثا فذا لا نظير له من قبله ولا من بعده.

---

[1] - ينظر : البرهان في ترتيب سور القرآن : أبي جعفر الغرناطي، تحقيق : محمد شعباني، د.ط، [مطبعة فضالة. المملكة المغربية. 1410هـ - 1990م]، ص : 251-252.

حيث تحدثت هذه الآيات، عن كيفية إيجاد الولد من غير زوج. حيث تمثل لها جبريل -عليه السلام- في هيئة رجل، ونفخ في جيبها، فأصبحت حاملا. وهذا دليلا آخر، على القدرة الربانية في الخلق من العدم.

وتناولت هذه الآيات كيفية الوالدة التي اقترنت بحدثين غريبين هما : -نداء عيسى أمه حين الولادة بألا تحزن، فقد جعل الله عندها نهرًا- وأمرها بهز النخل أخذا بالأسباب لإسقاط الرطب.

3 - الحديث عن قصص بعض الأنبياء من الآية (41) إلى الآية (58) ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ... خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾.

في هذه الآيات نجد قصص بعض الأنبياء، كإبراهيم الخليل مع والده (آزر) الذي كان يدعوه إلى عبادة الله وحده بكل أدب ولطف ولين، و لم يستعمل مع والده إلا الكلمات التي قد تلين قلبه. ولكن لا جدوى وهذا موجود في الآيات (41-47).

الحديث عن قصة موسى -عليه السلام-. ومناجاته ربه في الطور، وجعل أخيه هارون نبيا. الآيات (51-53).

ثم أشار إلى قصص إسماعيل الموصوف بصدق الوعد، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإدريس الصديق النبي وما انعم الله به على أولئك الأنبياء. من ذرية ادم لإثبات وحدة الرسالة. بدعوة الناس إلى التوحيد ونبذ الشرك. الآيات (54-58).

4 - مواضيع مختلفة من الآيات (59-99).

- حيث قورن الخلف بالسلف، وبأن الفرق بان الخلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات،وجدد الوعد بجنات عدن، لمن تاب وعمل صالحا، وهذا في الآيات (59-63).
- ناقش الله المشركين الذين أنكروا البعث وأخبر بحشر الكافرين مع الشياطين، وإحضارهم جثيا حول جهنم، وبأن جميع الخلق ترد على النار. الآيات (66-72).
- أبان الله تعالى المشركين حين سماع القرآن، من المؤمنين بأنهم خير منهم مجلسا، وأخبرهم أنه أهلك كثيرا من الأمم السّابقة، بسبب عتوهم واستكبارهم، وأنّه يمد للظالمين، ويمهلهم، ويزيد الهداية للمهتدين. وأن معبودات المشركين ستكون أعداء لهم، وذلك كله لتتريه الله عن الولد، والشريك. الآيات (73-84).

- وختمت السورة الكريمة بتنزيه الله، عن الولد والشريك، والنظير، وردت على ضلالات المشركين. بأنصع بيان وأقوى برهان[1]. الآيات (89-99).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] - ينظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : وهبة الزحيلي، ط1، [دار الفكر المعاصر. بيروت. لبنان. دار الفكر بدمشق. سوريا. 1411هـ-1991م]، ج6، ص : 46-48.

وأيضا : صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني. ط5، [المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. الجزائر. 1411هـ-1990م]، ج2، ص : 210.

الفصل الأول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

المحسنات البديعية المعنوية في السورة

- المبحث الأوّل : الالتفات .
- المبحث الثاني : التجريد..
- المبحث الثالث : الفريع.
- المبحث الرابع : التتميم.
- المبحث الخامس : التقسيم.
- المبحث السادس : المبالغة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حين ألف ابن المعتز (296هـ) كتاب "البديع"، لم يكن في منهجه أن يدرس البديع القرآني، فقد ألفه ليبرهن على أن البديع -وهو ما افتخر به الشعراء المحدثون- موجود في القرآن الكريم، وفي شعر من تقدمهم من الجاهليين والإسلاميين، إلا أنه ربط بين بديع الشعر المحدث والقديم وبديع القرآن.

وتلاه أبو هلال العسكري (395هـ) يزيد في الاستشهاد ببديع القرآن في كتابه "الصناعتين"، ويجرد المحدثين من الشعراء، من مزية البديع كما فعل ابن المعتز.

حتى إذا جاء الباقلاني (403هـ) اعترض على إدخال البديع في الإعجاز القرآني، إلى أن كتب ابن أبي الإصبع المصري (654هـ) "بديع القرآن" و"تحرير التحبير" وضع من خلالهما الدليل القاطع على وجوده في القرآن بكثرة كثيرة.

فإذا عرفنا هذا فسأذكر علم البديع وأسراره، وهي منقسمة إلى ما يكون متعلقا بالفصاحة اللفظية، و إلى ما يكون متعلقا بالفصاحة المعنوية، فهذان طرفان نذكر ما يتعلق بكل واحد منهما من الأمثلة.

وليس غرضي هنا التوسع في دراسة المحسنات البديعية إلى حد الإلمام بها جميعا، و إنما الغرض هو التركيز على أهم المحسنات، التي احتوتها سورة مريم، للتعرف عليها و بيان أثرها في تحسين الكلام معنا و لفظا. والبداية بإذن الله ستكون بالمحسنات المعنوية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* المبحث الأول : الالتفـــات

للالتفات أسماء عديدة : "الاعتراض" و" الاستدراك" فما هي حقيقة هـــذا الفـــن ومـــا غرضـــه ؟.

1 – تعريفـــه.

أ – لغـــة : سمي بذلك أخذ له من الفعل : لَفَتَ، وَلَفَتَ وَجْهَهُ عن القـــوم : صَـــرَفَهُ، والتفت التفاتًا، وتَلَفْتَ إلى الشَّيءِ، والتَفَتْ إليه : صَرَفَ وَجْهَهُ إليه.[1]

ب – اصطلاحـــا : عده ابن المعتز(296هـ). من محاسن الكلام. وعرفه بقوله : <<وهو انصراف المتكلم عـــن المخاطبـــة إلى الإخبـــار، وعـــن الأخبـــار إلى المخاطبـــة، ومـــا يـــشبه ذلك >>[2].

ونجد تعريف أبو هلال العسكري(395هـ) فيه نوع من الإيضاح : <<الالتفـــات علـــى ضربين. فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى. فإذا ظننت أنه تجاوزه، يلتفت فيذكره بغير مـــا تقـــدم ذكره به.

والضرب الآخر، أن يكون المتكلم آخذا في معنى، وكأنه يعترضه شـــك أو ظـــن. أن رادا يرده عليه قوله، أو سائلا يسأله عن سببه، فيعود راجعا على ما قدمه، فإما أن يؤكده، أو يـــذكر سببه أو يحل الشك فيه>>[3].

ومن الالتفات : الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر، قال الله –جل ثناؤه– : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس : 22].

وقـــال : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [فاطر : 16].

---

(1) – لسان العرب : ابن منظور، مـــادة (ل. ف. ت)، ج5، ص : 4051.

(2) – البديع : ابن المعتز، ص : 152.

(3) – الصناعتين : أبي هلال العسكري، ص : 392.

- ثـــانيا : نمـــاذج تطبيقيـــة :

ورد الالتفات في آيات كثيرة من الذكر الحكيم، أما في سورة مريم، فقـــد ورد في ســـت مرات، و سأشرح بإذن الله كل آية على حدة، و أبين ما فيها من بلاغة الالتفات :

- قـــال تعالى : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا ﴾ [مريم : 09].

لقد دل قوله تعالى " قال كذلك" أن الأمر كما قلت يا عبدي، فسأهب لك الولد مع مـــا أنتما عليه من العقم والشيخوخة، و علل هذا بقوله : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾، أي سوف أهب لك الولد دون التوقف على الأسباب العادية التي رسمها سبحانه للحمل و الـــولادة و التي اعتاد عليها جميع الخلق.

ثم نجد الله -ﷻ- يذكر ما هو أعجب مما سأل عنه. فقـــال : ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا ﴾ أو ليس خلق الولد الذي وعدت أن أهبه لك مع كبر سنك، وعقـــم زوجـــك، بأعجب من خلق البشر جملة من العدم. إن من قدر على خلق الذوات والصفات من العدم، يكون قادرا على تبديل الصفات. فيعيد إليه و إلى زوجه القوة و ســـائر الوســـائل الـــتي بهـــا يمكـــن أن ينشأ منها الولد[1]، كما قـــال تعـــالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ [الأنبياء : 90].

و الالتفات موجود في قوله تعالى ﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾. وقال أبـــو الـــسعود (982هـــ) في تفسيره : << والالتفات موجود في قوله ﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ فالجملة حينئذ حال من ربك. واليـــاء عبارة عن ضميره. وهي مؤكدة ومقررة لما قبلها. ثم أخرج القول الثاني مخرج الالتفـــات ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا ﴾ ثم أسند إلى اسم الرب المضاف إلى ضميره -عليه السلام- تشريفا له وإشعارا بعلة الحكم >>[2].

---

[1] - التحرير والتنوير : الطاهر بن عاشور، ج16، ص : 72.

[2] - تفسير أبو السعود المسمى : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبي السعود محمد بن محمـــد العمـــادي، ط2 [دار إحياء التراث العربي. 1411هـــ- 1990م]، ج5، ص : 257.

فإن الله -ﷻ- يُذكر رسوله الكريم. بأنه هو الذي أوجده من العدم، وهو الذي تصرف في أطوار الخلق، التي تصاحب الأنبياء من حال إلى حال. شيئا فشيئا إلى أن يبلغ كماله اللائق، وهذا كله من أجل التأكيد على حصول الموعود، و ليُطمئن نبيه بإنجازه لا محالة. ثم التفت من ضمير الغائب العائد إلى الرب جل جلاله. إلى ياء العظمة إيذانا منه بأنه هينا عليه سبحانه.

والفائدة التي أتي بها هذا الالتفات في هذه الآية : هو تعظيم لشأن المخاطب الذي هو هنا الله -ﷻ- : الذي خلق ويخلق من العدم، و إذا أراد شيئا قال كن فيكون.

والآية الثانية قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ [مريم : 21].

﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ أي قال الملَكْ مجيبا لها عما سألت. إن الله قد قال : إنه سيوجد منك الغلام. وإن لم تكوني ذات بعل. و لم تقترفي الفاحشة. فإنه تعالى على ما يشاء قدير. لا يمتنع عليه فعل ما يريده. ولا يحتاج في إنشائه إلى المواد و لا الآلات[1]. ونحو هذه الآية قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : 47].

وأما قوله ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ أي وفعلنا ذلك لنجعل خلقه برهانا على قدرتنا. فقد خلقنا أباهم من غير ذكر ولا أنثى. حواء من رجل دون أنثى. وخلقنا عيسى من أنثى فحسب. وخلقنا بقية الذرية من ذكر وأنثى.

﴿ رَحْمَةً مِنَّا ﴾ ورحمة من الله لعباده. إذ بعثه نبيا يدعو إلى عبادته، وتوحيده، وحده لا شريك له في العبادة.

﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ أي قد قضاه الله في سابق علمه، ومضى به حكمه، فلا يغير ولا يبدل[2] لقوله تعالى : ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [ق : 29].

والالتفات موجود في قوله تعالى ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً ﴾. وهو التفات من طريق الغيبة إلى طريق

---

(1) - الكشاف : الزمخشري، ج3، ص : 10.

(2) - تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي، ط1 [مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر. 1365هـ - 1946م] ج16، ص : 42-43.

التكلم، أي ﴿وَلِنَجْعَلَهُ﴾ عطف على ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم : 17]. باعتبار ما في ذلك من قول الروح لها. ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم : 19]. لأن هبة الغلام الزكي كرامة من الله لها. و جعله آية للناس ورحمة. لهذا وقع الالتفات من طريق الغيبة إلى طريق التكلم. وفائدته هو التأكيد على عظمة الخالق وعلى قدرته وعلى خلقه من العدم.

والآية الثالثة قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: 68].

لقد أقسم الرب بنفسه الكريمة أنه حاشر الكافرين مع شياطينهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله. وقيل كل واحد يحشر مع قرينه من الجن لقوله تعالى : ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف : 39]. وقوله : ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات : 22-23]. ثم يحضرهم بعد طول الوقوف حول جهنم، من خارجها جاثين على ركبهم إهانة، ولعجزهم[1]. و"جثيا" من جثَى : جُثُوًّا. وجِثِيًّا. فهو جاثٍ بمعنى هو البارك على ركبتيه[2].

لقوله تعالى : ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية : 28].

<<فحشرهم مع الشياطين إنذار لهم. بأن مصيرهم هو مصير الشياطين، وهو محقق عند الناس كلهم. فلذلك عطف عليه جملة ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾. والضمير هنا للجميع. وهذا إعداد آخر للتقريب من العذاب. فهو إنذار على إنذارٍ، وتدرج في إلقاء الرعب في قلوبهم، وأنهم ينقلون من حالة عذاب إلى أشد>>[3].

والالتفات موجود في قوله تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ وهو التفات من التكلم مع الغير إلى الغيبة.

---

(1) - تفسير المراغي : مصدر سابق، ج16، ص : 74.

(2) - المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق : محمد خليل عتياني. ط1،[دار المعرفة. بيروت. لبنان 1418هـ - 1998م]، ص : 95.

(3) - التحرير والتنوير : طاهر بن عاشور، ج16، ص : 147.

لأن فيه إقسام الرب باسمه عزت أسماؤه أولا. و مضافا إلى ضميره -ﷺ- أي الكاف لتحقيق الأمر بالإشعار بعلته وتفخيم شأنه -عليه الصلاة والسلام-، ورفع منزلته، وأن الكفار سوف يحشرون مع شياطينهم ويجمعون جمعا حول جهنم ليلاقوا العذاب الذي يستحقونه.

والآية الرابعة قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَانِ عِتِيًّا ﴾ [مريم : 69].

- نشرح الكلمات الآتية :

النزع : هو الاستخراج.

الشيعة : الجماعة المتعاونون على أمر، أو التابعون لعقيدة ما.

عتيا : التمرد والعصيان[1].

المراد : ثم لنأخذن من كل جماعة. من كان في الدنيا أشدهم إجراما، وتمردا على الله. وعصيانا لأمره ومخالفة لرسله. و لنبدأن بأكابر الطغاة ثم الأكابر. أي : نترع من أهل كل دين قادتهم، ورؤسائهم في الشر وقوله تعالى : ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَانِ عِتِيًّا ﴾. أي لنستخرجن ولنميزن من كل طائفة من طوائف الغي، والفساد أعصاهم فأعصاهم. وأعتاهم فأعتاهم. فيبدأ في العذاب على حسب مراتبهم في الكفر، والإضلال و الضلال[2].

والالتفات موجود في قوله تعالى : ﴿ عَلَى الرَّحْمَانِ ﴾. حيث ذكر سبحانه أنه سوف يترع من كل شيعة من كان ضالا مضلا.

ثم التفت مخاطبا من كان أشدهم تمردا. ويشدد عليهم العذاب لضلالهم وإضلالهم.

والفائدة من هذا الالتفات هو الدلالة على اختصاص الله بالرحمة، على عباده الذين لم يلق منهم إلا التمرد. وهذا التمرد عظيم على من شملت رحمته كل شيء. وهم يلقوا منه إلا الرحمة.

والآية الخامسة هي قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم 71].

ومعنى هذه الآية، وإن ما من أحد إلا وسوف يدنو من جهنم، ويصير من حولها. الله قد

---

(1) - الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي، ط1، [مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت. لبنان. 1411هـ-1991م]، ج14، ص : 88.

(2) - الكشاف، الزمخشري، ج3، ص : 33-34.

والالتفات يظهر في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ ﴾. هو التفات من الغيبة إلى الخطاب، في قوله ﴿ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ، لَنُحْضِرَنَّهُمْ ﴾. حيث عدل عن الغيبة إلى الخطاب، ارتقاء في المواجهة بالتهديد، حتى لا يبقى مجال للالتباس. و ضمير الخطاب. أعرف من ضمير الغيبة. ومقتضى الظاهر أن يقال "وإن منهم إلا واردها"

وقال الألوسي (1217هـ-1270هـ) في تفسيره <<﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ ﴾ التفات إلى خطاب الإنسان سواء أريد منه العموم أو خصوص الكفرة، لإظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام. وقيل هو خطاب للناس، و ابتداء كلام منه -ﷻ- بعدما أتم الغرض الأول، فلا التفات أصلا، ولعله الأسبق إلى الذهن، لكن قيل يؤيد الأول قراءة ابن عباس وعكرمة "وإن منهم" أي وما منكم أحد إلا واردها أي داخلها>>[1].

وعلى ذلك نجد قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [الأنبياء : 98]. وقوله تعالى في فرعون ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾[هود : 98].

وقال الزمخشري (538هـ) في كشافه "و إن منكم" التفات إلى الإنسان، يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة، أو خطاب للناس من غير التفات، إلى المذكور. وقيل : يحتمل أن يكون استئنافا خطابا للناس، ويحتمل أن يكون التفاتا، وقيل كذلك : احتمال الالتفات مفرع على إرادة العموم من الأول. فيكون المخاطبون أولا هم المخاطبين ثانيا. إلا أن الخطاب الأول بلفظ الغيبة، والثاني بلفظ الحضور. وأما إذا بنينا على أن الأول إنما أريد منه خصوص على التقديرين جميعا. فالثاني ليس التفاتا، و إنما هو عدول إلى الخطاب العامة عن خطاب خاص لقوم معينين[2].

والآية السادسة والأخيرة التي ورد فيها الالتفات هي قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ [مريم : 88-89].

أي وقال الكافرون بالله إن للرحمن ولدا، تعالى شأنه عما يقولون علوا كبيرا. وهم بقولهم

---

(1) - روح المعاني : الألوسي، مج9، ج 16، ص : 176.

(2) - الكشاف : الزمخشري، ج3، ص : 34.

هذا جاءوا بشيء منكر عظيم يدل على جرأتهم على الله.

والالتفات موجود في قوله تعالى ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾. وهو خطاب للحاضر بعد قوله ﴿وَقَالُوا﴾ وهو خطاب للغائب. وهو هنا خطاب من الغيبة إلى الحضور، قصد به التوبيخ. للدلالة على أن قائل مثل قولهم ينبغي أن يكون موبخا و منكرا عليه.

ولما أراد توبيخهم على هذا، أخبر عنه بالحضور فقال ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾ لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له. وزيادة التسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى، والتعرض لسخطه.

وما نلاحظه على هذه الآيات أن الالتفات كان بطرق كثيرة :

- من الغيبة إلى الحضور.
- من الغيبة إلى التكلم.
- من التكلم مع الغير إلى الغيبة.
- من الغيبة إلى الخطاب.

والالتفات بجميع صوره، وبكل شواهده يكسو الكلام طلاوة وظرفا. ويحدث في القلب عند سماعه متعة ولذة. لأن نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب تجديدا. وللتجديد لذة تطرب لها النفس. ويهفو لها القلب.

ومن فوائده حمل المتلقي على التفكير في المعنى. لأن تغير وجه الأسلوب يؤدي إلى التفكير في السبب.

فالالتفات إذا فيه إمتاع ولذة للسامع وتجديد لنشاطه نظرا لما يكسبه للكلام من الطرافة والظرف وكل ذلك يجعل السامع متهيئا لما يلقى إليه من كلام فيتمكن معناه في نفسه فضل تمكن.

- ثـــانيا : الفرق بين التجريد والالتفات.

ونجد بين التجريد والالتفات فرقا واضحا بينا :

حيث يلتقيان عند الالتفات من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة، كقوله تعـــالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [هود : 66].

فقولـــه : ﴿ رَبَّكَ ﴾ الالتفات إلى الغيبة ويسمى تجريدا أيضا. كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر : 01-02]. فهو الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

وأما أغلب أقسام الالتفات فلا يوجد معها تجريد، وهي الالتفات من الغيبة إلى الخطـــاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم.

وهكذا يتضح لنا أن هناك فرقا واضحا بين الالتفات والتجريد، لا ننكر أنهما قد يلتقيان في نوع واحد من الالتفات كما ذكرنا، غير أنهما يبقيان فـــنين منفـــصلين أو أســـلوبين متبـــاينين متمايزين[1].

- ثـــالثا : نمـــاذج تطبيقيـــة.

ولقد ورد التجريد في سور كثيرة من الذكر الحكيم كقوله تعـــالى : ﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : 260].

وقـــال تعـــالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : 21].

وقـــوله تعـــالى :﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [ق : 37].

والتجريد في سورة مريم ورد في أية واحدة لا غير وهي قوله تعـــالى : ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم : 06].

أي أعطيني من واسع فضلك وعظيم جودك ولدا من صلبي، يرث الحبور مني ويرث مـــن بني ماثان(*) ملكهم.

---

(1) - الالتفات : التيحاني بوريقة، مجلة جامعة الزيتونة : حولية علمية إسلامية، [العدد3 : 1415هـــ-1994م]، ص : 53.

(*) - بني ماثـــان : القبيلة التي يسكن فيها زكريا -عليه السلام-.

- ثـــانيا : الفرق بين التجريد والالتفات.

ونجد بين التجريد والالتفات فرقا واضحا بينا :

حيث يلتقيان عند الالتفات من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة، كقوله تعـــالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [هود : 66].

فقولـــه : ﴿ رَبَّكَ ﴾ الالتفات إلى الغيبة ويسمى تجريدا أيضا. كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر : 01-02]. فهو الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

وأما أغلب أقسام الالتفات فلا يوجد معها تجريد، وهي الالتفات من الغيبة إلى الخطـــاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم.

وهكذا يتضح لنا أن هناك فرقا واضحا بين الالتفات والتجريد، لا ننكر أنهما قد يلتقيان في نوع واحد من الالتفات كما ذكرنا، غير أنهما يبقيان فـــنين منفـــصلين أو أســـلوبين متبـــاينين متمايزين[1].

- ثـــالثا : نمـــاذج تطبيقيـــة.

ولقد ورد التجريد في سور كثيرة من الذكر الحكيم كقوله تعـــالى : ﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : 260].

وقـــال تعـــالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : 21].

وقـــوله تعـــالى :﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [ق : 37].

والتجريد في سورة مريم ورد في أية واحدة لا غير وهي قوله تعـــالى : ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم : 06].

أي أعطيني من واسع فضلك وعظيم جودك ولدا من صلبي، يرث الحبور مني ويرث مـــن بني ماثان[*] ملكهم.

---

[1] - الالتفات : التيحاني بوريقة، مجلة جامعة الزيتونة : حولية علمية إسلامية، [العدد3 : 1415هـ-1994م]، ص : 53.

[*] - بني ماثـــان : القبيلة التي يسكن فيها زكريا -عليه السلام-.

وقال الكلبي : <<كان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم، وكان زكريا -عليه السلام- رئيس الأحبار يومئذ فأراد أن يرثه ولده الحبورة، ويرث من بني ماثان ملكهم، فتكون الوراثة مختلفة في الموضوعين >>[1].

ونحو هذه الآية قوله تعالى في سورة آل عمران حكاية عنه : ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [آل عمران : 38].

وقال كذلك : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [الأنبياء : 89].

والتجريد في قوله تعالى : ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ حيث جاء في حاشية الشهاب شرح هذه الآية : " إنه لا يناسب المقال مع أنه لا وجه له، لأنه لما طلبه في كبره علم أنه يرثه في صغر سنه، ثم قال والتجريد في البديع معلوم، فعلم البيان أراد به البديع، والتقدير يرثني وارثا منه، أو به الوارث هو الولي فجرد منه"[2].

وقال ابن جني : <<هذا هو التجريد، وذلك أنه يريد: وهب لي من لدنك وليا، يرثني منه وارث من أل يعقوب. وهو الوارث نفسه، وكأنه جرد منه وارثا >>[3].

فائدته أن يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة، من مدح أو غيره على نفسه، إذ يكون مخاطبا بها غيره، يكون أعذر وأبرأ من العهدة، فيما يقوله غيره محجور عليه"[4].

فائدته هو طلب التوسع في الكلام، فأنه إذ كان ظاهره خطابا لغيرك، وباطنه خطابا لنفسك، فإن ذلك من باب التوسع، وهذا شيء اختصت به اللغة العربية، دون غيرها من اللغات.

---

(1) - روح المعاني : الألوسي، مج9، ج16، ص : 91.

(2) - حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الحفاجي، على تفسير البيضاوي، ضبط و تخريج، عبد الرازق المهدي، ط1،[دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1417هـ-1997م]، ج 6، ص : 251.

(3) - معترك الأقران في إعجاز القرآن :جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق : علي محمد البجاوي، د.ط، [دار الفكر العربي. دم. دت]، ج1، ص : 397.

(4) - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير : تحقيق : أحمد الحوفي : بدوي طبانة، ط2، [دار الرفاعي. 1403هـ-1983]، ج1، ص : 170.

المبحث الثالث : التفـــريع

وثالث الأنواع البديعية التي سوف نتناولها التفريع، فما هي حقيقته يا ترى ؟ وماذا أضاف إلى السورة بوجه خاص ؟ وإلى البديع بوجه عام ؟

- أولا : تعريفـــه

أ – **لغـــة** : من الفعل فَرَعَ، ويقال منه فَرَّعَ يُفَرِّعُ أيضًا، وفرع بين القوم، وفرق بمعـــنى واحد[1].

فرع كل شيء أعلاهُ، والجمع فروع، وفرع القوم وتَفَرَعَهم، فاقهم. وفرع بين القوم يفرع فرعا، حجز وأصلح[2].

ب– اصطلاحـــا : عرفه ابن حجة الحموي (837هـــ) في خزانة الأدب : << وهو ضـــد التأصيل وهو أن يصدر الشاعر، أو المتكلم كلامه باسم منفي " بما " خاصة، ثم يصف ذلك الاســـم المنفي بأحسن أوصافه المناسبة للمقام إما في الحسن أو في القبح، ثم يجعله أصلا يفرع منه جملة مـــن جار ومجرور، متعلقة به تعَلق مدح، أو هجاء، أو فخر، أو نسيب أو غير ذلك. ثم يخبر عـــن ذلـــك الاسم "بأفعل التفضيل". فتحصل المساواة بين الاسم المجرور "بمن" وبين الاسم الداخل عليه "مـــــا" النافية>>[3].

- ثـــانيا : نمـــاذج تطبيقيـــة.

ولقد ورد التفريع في سورة مريم مرتيـــن :

1- قـــوله تعـــالى: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : 65].

---

(1) – لسان العرب : ابن منظور، مـــادة (ف. ر. ع)، ج5، ص : 3394 .

(2) – المحكم و المحيط الأعظم في اللغة : علي بن اسماعيل بن سيدة، تحقيق : مصطفى الـــسقا، حـــسين نـــصار، [معهـــد المخطوطات بجامعة الدول العربية 1477هـــ-1958م]، مـــادة (ف. ر. ع)، ج2، ص : 87-89.

(3) – خزانة الأدب و غاية الأرب : تقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي، شرح : عصام شعيتوا، ط1، [دار و مكتبة الهلال. بيروت. لبنان. 1987م]، ج2، ص : 385. وينظر : نهاية الأدب في فنون الأدب : شهاب الدين أحمد بن عبد الله الوهاب، النويري، د.ط، [دار الكتاب القاهرة، مصر، 1347هـــ-1929م]، ج7، ص : 160.

ومعنى هذه الآية متعلق بالآية السابقة التي هي ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم : 64].

أي إن الرب الذي نعبده ونؤمن به لا يجوز عليه النسيان. لأن من بيده ملكوت كل شيء لا يتصور أن تحوم حوله الغفلة والنسيان، وبعد أن عرفنا أنه الرب المسيطر على السموات، والأرض وما بينهما، يجب أن تعبده وتدوم على مشاق العبادة وشدائدها، وإياك أن يصدك عنها ما يحدث من إبطاء الوحي، ولا تسمع ما يقوله المشركين، وكل هذا الكلام موجه إلى الرسول الله -ﷺ-[1].

ثم أكد الأمر بالعبادة بقوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ أي هل تعلم له شبيها، ومثلا يقتضي العبادة أو يقتضي تعظيمه غاية التعظيم حتى نعترف بربوبيته والخضوع لسلطانه[2].

أما التفريع فموجود في قوله تعالى : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾ تفريع على صدر الآية، والمعنى إذا كنا لا نتزل إلا بأمر ربك "الملائكة" وقد نزلنا عليك هذا الكلام المتضمن للدعوة إلى عبادته فالكلام كلامه، والدعوة دعوته وحده فاعبده، لأن ليس هناك من يسمى ربا غير ربك حتى لا تصبر على عبادته، وتنتقل إلى عبادة ذلك الغير الذي يسمى ربا، فتكتفي بعبادته عن عبادة ربك أو تشرك به.

وقيل إن الجملة تفريع على قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ أي لم ينساك ربك فاعبده[3].

وكل هذا الكلام موجه إلى الرسول - ﷺ- ويمكن أن يستفاد من التفريع أنه تأكيد للبيان الذي تضمنه السياق السابق على هاتين الآيتين، وبذلك يظهر اتصالهما بالآيات السابقة عليهما، من غير أن تؤخذ معترضتين من كل جهة.

2 – قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم : 77].

ومعنى هذه الآية : أنظر إلى حال هذا الكافر، وأعجب من مقالته الشنيعة، وجرأته على الله، إذ قال

---

(1) - روح المعاني : الألوسي، ج16، ص : 168

(2) - الكشاف : الزمخشري، ج3، ص : 31.

(3) - الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي، ج14، ص : 83.

لأعطين في الآخرة مالا وولدا. والآية الكريمة تشير إلى قصة خباب بن الأرت مع العاصي بن الوائل السهمي، فأخرج الشيخان عن جباب بن الأرت -رضي الله عنه- قال : << كنت قينا(*) في الجاهلية وكان لي على العاصي بن وائل دينا فأتيته لأتقاضاه. قال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد -ﷺ-، فقلت : لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث فقال : دعني حتى أموت، وأبعث. فسأوتى مالا وولدا. فأقضيك فنزلت ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا، أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَانِ عَهْدًا ﴾ [مريم : 77-78] (1).

والتفريع موجود في قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ ﴾ وهي كلمة تعجب، وقد فرعه بفاء التفريع على ما تقدمه من قولهم : ﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ [مريم : 73].

وقيل هذه الآية تفريع على قوله تعالى(2) : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ [مريم : 66]. لأن قائل هذا الكلام كان في غرور وكان متيقنا من استحالة البعث والجزاء مرة أخرى لدرجة أنه طلب الموت وبعد بعثه سوف يؤتى المال والولد، وكل هذا بطريق السخرية من البعث، لتأكده من أنه شيء لا يحدث بأي حال من الأحوال. وإن حدث فإنّه يتوهم بأن الذي أكرمه في الدنيا وأعطاه من المال والولد ما أعطاه سيعطيه في الآخرة أيضًا.

ومثاله قول الكافر صاحب الجنتين المذكور في سورة الكهف ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف : 36].

(*) - قينًا : حدادًا.

(1) - صحيح البخاري : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري بشرح النووي، ط2، [دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان. 1392هـ-1972م]، مج9، ج17، ص : 138.

(2) - الميزان: محمد حسين الطباطبائي، ج14، ص : 102.
- التحرير والتنوير : الطاهر بن عاشور، ج16، ص : 158.

* المبحث الرابع : التتميـــم

كل واحد منا يستعمل كلام معين لكي يصل إلى مبتغاه، إما بتأكيده بأكثر من مؤكده، أو استعمال التكرار، أو تتميمه بكلام معين. لكي يزيل كل الاحتمالات الأخرى، وهذا الأخير هـــو منطلق هذا المبحث، فيا ترى ما حقيقته؟ وما فحواه؟

- أولا : تعريفـــه.

أ – **لغـــة** : من تَمَّ الشَّيْءَ يَتُمُّ تَمًّا، وتَمَامُ الشَّيْءِ، وتِتِمَّتُهُ، ما تَمَّ به[1].

ب – **اصطلاحـــا** : عرفه الزركشي : <<وهو أن يتم الكلام، فيلحق به ما يكمله، إما مبالغة أو احترازا أو احتياطا.

وقيـــل : هو أن يأخذ في معنى، فيذكره غير مشروح، وربما كان السامع لا يتأمله، ليعود المتكلم إليه شارحا >>[2].

وبمعنى أخر التتميم عبارة : عن الإتيان في النظم والنثر بكلمة إذا طرحت من الكلام نقص حسنه ومعناه.

- ثـــانيا : نمـــاذج تطبيقيـــة.

ومثاله في القرآن الكريم قوله تعـــالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: 08].

التتميـــم في قولـــه : ﴿ عَلَى حُبِّهِ ﴾ حيث جعل الهاء كناية عن الطعام مع اشتهائه.

وأما في سورة مريم فقد ورد في آيتـــين وهمـــا :

1- قـــوله تعـــالى : ﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ [مريم : 75].

---

(1) – لسان العرب : ابن منظور، مـــادة (ت. م.)، ج1، ص : 447.

(2) – الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، د.ط، [دار المعرفة. بيروت. لبنـــان. د.ت] ج2، ص : 99. وينظر : البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبـــراهيم، ط2، [دار المعرفة. بيروت. لبنان. د.ت]، ج3، ص : 70.

لقد جرت سنة الله بأن من كانوا منهمكين في الضلالة، مرخين لأنفسهم الأعنة، في سلوك المعاصي والآثام، يبسط الله لهم -ﷻ- نعيم الدنيا، ويطيب عيشهم فيها، ويمتعهم بأنواع اللذات، إلا أن يشاهدوا ما كانوا به مكذبين، إما عذاب الدنيا، أو مجيء الساعة، وهم بها مكذبون، وعن الاستعداد لها مفرطون، وحينئذ سيعلمون من هو شر من الفريقين مكانا، وأن الأمر على عكس ما كانوا يقدرون وسيرون أنهم شر مكانا وأضعف جندا وأقل ناصرا من المؤمنين وهذا ردا على قولهم[1] ﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ [مريم : 73].

والتتميم موجود في قوله تعالى : ﴿ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ ولقد جاء في حاشية الشهاب شرح هذه الآية : << تتميم لوعيد الكفار، وكلاهما تتمة لقوله ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَانُ مَدًّا ﴾ الواقع جوابا عن قولهم : أي الفريقين خير، وتحقيقه أن الكفار لما ذكروا الخيرية على زعمهم، أتى بها في الجواب مشاكلة مع ما فيه من الوعيد والتهكم بهم، فتحصل منه أن التفضيل إما للزيادة المطلقة، أو لزيادة الثواب في بابه على العقاب،أو يعد العقاب خيرا تهكما بهم أو الخيرية في المفضل عليه خيرية مالهم في الدنيا في نظرهم القاصر >>[2].

2 – قوله تعالى : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم : 76].

أي ويزيد الله الذين اهتدوا إلى الإيمان هدًا بما يترل عليهم من الآيات، عوضا مما منعوا من زينة الدنيا وكرامة لهم من ربهم.

ومجمل القول : إن من كان في الضلالة، من الفريقين يمهله الله، وينفس له في حياته ليزداد في الإثم والغي ويجمع له عذاب الدارين، ومن كان في الهداية منهما، يزيد الله في هدايته، ويجمع له خير الدارين.

ولقد قال العلامة الطيبي : << الذي يقتضيه النظم الكريم أن هذه الجملة تتميم، ومشتملة على تسلية قلوب المؤمنين، مما عسى أن يختلج فيها، من مفاخرة الكفرة شيء، كما أن قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ [مريم : 75] تتميم لوعيدهم، وكلاهما من تتمة الأمر بالجواب عن قولهم : " أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا

---

[1] – المراغي : أحمد مصطفى المراغيح، 16، ص : 78.

[2] – حاشية الشهاب : شهاب الدين الخفاجي، ج6، ص : 309.

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم : 73].

وجعل التعبير بخير واردا على طريق المشاكلة، وما ذكره من كون ذلك من تتمة الجواب هو المنساق إلى الذهن إلا أن ظاهر الخطاب يأباه وقد يتكلف له >>[1].

[1] - روح المعاني : الألوسي : مج9، ج16، ص : 187.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* المبحث الخامس : التقسيـــم.

- أولا : تعريـــفه.

أ - لغـــة : من قسم الشيء يَقْسِمُه قَسْما وقَسَّمهُ : جزأه وهي القسمة. وقَسَمهم الدَّهرُ يَقْسِمهم : فرقَهم قسمًا هنا وقسمًا هنا[1]. وفي التنـــزيل ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ ﴾ [النمل : 49].

ب - اصطلاحـــا : حقيقته لدى البلاغييـــن : هو استيفاء أقسام الـــشيء الموجـــودة لا الممكنة عقلا [2].

ولقد عرفه ابن الأثير بشيء من الإيضاح و التفسير : <<نريد بالتقسيم ها هنا ما يقتـــضيه المعنى مما يمكن وجوده. من غير أن يترك منها قسما واحدا. وإذا ذُكرت قام كل منها بنفسه . و لم يشارك غيره . فتارة يكون التقسيم بلفظة " إما " وتارة بلفظة "بين" وتارة بلفظة "منهم" >>[3].

- ثـــانيا : نمـــاذج تطبيقيـــة.

ولقد ورد التقسيم في آيات كثيرة من الذكر الحكيم نجتزئ بذكر بعضها على النحو الآتي:

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الرعد : 12]. لقد قسم المولى تبارك وتعالى حال الناس عند رؤية البرق بين خائف منه وطامع فيه، و هذا أحسن تقسيم إذ ليس فبهم ثالث .

كما قال كذلك : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: 32].

ومعني هذه الآية أن العالم لا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة : إما ظالم لنفسه، وإمـــا ســـابق مبادر إلى الخيرات، وإما مقتصد فيها.

وقـــال أيضا : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم : 17-18].

---

[1] - المحكم والمحيط الأعظم : لابن سيده، مـــادة (ق. س. م)، ج6، ص : 151-152.

[2] - الإتقان في علوم القرآن : السيوطي، ج2، ص : 144. ومعترك الأقران : السيوطي، ج2، ص : 395.

[3] - المثل السائر : ضياء الدين بن الأثير، ج3، ص : 195 .

لقد استوفت هذه الآية الكريمة أقسام الأوقات : المساء، الصباح، العشي والإظهار. وهذا أحسن تقسيم للوقت.

أما التقسيم في سورة مريم فقد ورد في آية واحدة فقط وهي قوله تعالى :﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم : 64].

وروي في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله -ﷺ- : ﴿ *يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا قال : فنزلت الآية وما نتنزل .....نسيا* ﴾[1].

والمراد بـ ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ ما هو أمامنا، وبـ ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ ما هو وراءنا، وبـ ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ ماكان عن أيمانهم و عن شمائلهم، لأن ما كان عن اليمين وعن الشمال هو بين الأمام و الخلف، والمقصود استيعاب الجهات[2]. والتقسيم موجود في قوله تعالى : ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾. و هذا أحسن وأروع تقيسم لأن الله -ﷻ- أستوفى أقسام الزمان الثلاثة ولا رابع لها.

أي أنه تعالى هو المدبر لنا في جميع الأزمنة : مستقبلها وماضيها وحاضرها.

وأنّ أمرنا موكول إلى الله تعالى، يتصرف فينا على حسب مشيئته وإرادته، ولا اعتراض لأحد عليه، فلا ننتقل من مكان إلى مكان، ولا نترل في زمان دون زمان إلا بإذنه -ﷻ-.

ولقد حدد الشيخ سليمان نوار مذهب عبد القاهر الجرجاني في البديع، وخصوصا في التقسيم : <<إن بعض ما عدّه العلماء من علم البديع ومن المحسنات العرضية، لا الذاتية يجعله الشيخ من دقّة النظم. وقد سبق له أن النظم من عماد البلاغة. وسيأتي عدّه من دقة النظم، التقسيم وحده والتقسيم والجمع.

وإذا كانت المزاوجة من صميم البلاغة كان كثير من المحسنات المعنوية مثل المذهب الكلامي. وتأكيد المدح بما يشبه الذم. وحسن التعليل و تجاهل العارف أولى بأن تكون من

---

(1) – أسباب النزول : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، د.ط، [قصر الكتاب البليدة. دار الضياء. قسنطينة. د.ت]، ص : 172.

(2) – التحرير و التنوير : الطاهر بن عاشور، ج 16 ص 14.

صميمها، ومن المحسنات الذاتية>>[1].

ونقول : إن الشيء الذي جعل عبد القاهر يغفل عن ألوان البديع راجع إلى أن هذه الألوان قد اهتمّ بها النقاد والبلاغيون قبل القرن الخامس الذي عاش فيه. وكان جلّ اهتمامه منصبًا على النظم الذي وضع فيه نظريته، ومع هذا نجده قد تكلم عن التجنيس (الجناس) والسجع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] - البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية : حسن أبو موسى، د.ط، [دار الفكر العربي. مصر. د.ت]، ص : 483.

* المبحث السادس : المبالغة.

عند وصفنا للأشياء نستعمل إمّا صيغة التعجب لكي نبرز جمالها، أو نستعمل المبالغة، لكي نزيدها حسنًا ورونقًا فما هي المبالغة ؟

- أولا : تعرفها.

أ – **لغة** : من بَلَغَ الشَّيءُ يَبْلُغُ بُلُوغًا وبَلاغًا. وَصَلَ وانتَهى وأَبْلَغَهُ هو إِبْلاَغًا وَبَلَّغَهُ تَبْلِيغًا[1].

ب – **اصطلاحا** : أن يذكر المتكلم وصفًا يزيد فيه، حتى يكون أبلغ في المعنى الذي قصده[2]. وهي ضربان :

- **مبالغة في الوصف** : بأن يخرج إلى حد الاستحالة كقوله تعالى : ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور : 35].

- **مبالغة في الصيغة** : فعلان – فعيل – فعول – فَعِل – فُعْلَى – فُعَل.

أو هي أن يكون للشيء صفة ثابتة، فتزيد في التعريف، بمقدار شدته، أو ضعفه. فيدعى لهما الزيادة في تلك الصفة. ما يستبعد عند السماع أو يحيل عقل بثبوته[3].

ومعنى هذا أن المبالغة، سميت مبالغة لبلوغها إلى زيادة على المعنى لو أزيلت تلك الزيادة أو سقطت كان المعنى تامًا دونها، لكن الغرض منها تأكيد ذلك المعنى في النفس وتقريره.

- ثانيا : نماذج تطبيقية.

وردت المبالغة في سورة مريم على صيغتين :

1 – **صيغة فعيل** : وردت في آيتين :

قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم : 41].

حيث الصديق صيغة مبالغة من الصدق، لشدة صدق إبراهيم في معاملته مع ربه وصدق لمحبته.

---

(1) – لسان العرب : ابن منظور، مادة (ب.ل.غ)، ج1، ص : 345.

(2) – معترك الأقران : السيوطي، ج2، ص : 412.

(3) – البرهان في علوم القرآن : الزركشي، ج3، ص : 51-52.

كما شهد الله له بصدق معاملته في قوله ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [النجم : 37]. وقوله ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة : 124].

- وقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [مريم : 56].

حيث نجد المبالغة ﴿ صِدِّيقًا ﴾ على وزن "فعيل" أي المبالغ في الصدق وكثير الصدق

- قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم : 64].

النسيان أو شديده. والنسيان : الغفلة عن توقيت الأشياء بأوقاتها. وقد فسّرت هنا بالترك. أي ما كان ربك تاركك. وعليه فالمبالغة هنا منصرفة إلى طول مدّة النسيان فيتعين صرف المبالغة، إلى جانب نسبة نفي النسيان عن الله -ﷻ-.

2 - **صيغة فعلان** : ولقد وردت في خمسة عشر موضوعا، في كلمة واحدة ﴿الرَّحْمَانُ﴾ وهي مبينة في الجدول الآتي :

الرقم	الآية الكريمة	المبالغة
18	﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾	الرحمن
44	﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا ﴾	الرحمن
45	﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَانِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾	الرحمن
58	﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَانِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾	الرحمن
61	﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَانُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾	الرحمن
69	﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَانِ عِتِيًّا ﴾	الرحمن
75	﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَانُ مَدًّا ﴾	الرحمن
78	﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَانِ عَهْدًا ﴾	الرحمن
85	﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَانِ وَفْدًا ﴾	الرحمن
87	﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَانِ عَهْدًا ﴾	الرحمن

الرقم	الآيـــــة الكـــــريمة	المبـالغة
89	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا ﴾	الرحمـــن
91	﴿ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا ﴾	الرحمـــن
92	﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾	الرحمـــن
93	﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا ﴾	الرحمـــن
96	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَانُ وُدًّا ﴾	الرحمـــن

وصفة ﴿ **الرحمن** ﴾ مختصة لله وحده، ولا يجوز أن يوصف بها، إلا هو -ﷻ-، لأنّها تدل على معنى لا يكون إلا له. وهو معنى وسعت رحمته كل شيء.

ومن خلال هذا الجدول، سأشرح بعض الآيات التي تحمل موضوعًا واحدًا. في الآيـــات : 88 – 91 – 92 – 93.

حيث تكرار اسم ﴿ **الرحمن** ﴾ في هذه الآيات أربع مرّات، إيماء إلى أن وصـــف الرحمـــان الثابت لله. والذي لا ينكر المشركون ثبوت حقيقته لله. وإن أنكروا لفظه. ينافي ادعاء الولد لـــه، لأنّ الرحمن وصف يدل على عموم الرحمة وتكثرها. ومعنى ذلك : أنها شاملة لكل موجود. فذلك يقتضي أن كل موجود، مفتقر إلى رحمة الله تعالى. ولا يتقوم ذلك، إلا بتحقق العبودية فيه. لأنّـــه يكون بالنبوة مساويًا له، في الإلاهية. المقتضية الغنى المطلق. ولأن اتخاذ الابن يتطلب به متخذه برا لابن به، ورحمته له، وذلك ينافي كون الله مفيض كل رحمة[1].

ولقد ذُكِرَ هذا الوصف عنـــد قولـــه : ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا** ﴾ [مـــريم : 88].

وقولـــه : ﴿ **أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا** ﴾ [مريم : 91].

وقـــوله : ﴿ **وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا** ﴾ [مريم : 92] إيماء إلى دليل عدم لياقة اتخاذ الابن بالله. وما ينبغي للعظيم القادر وعلى كل شيء المستغني عن معاونة الولد وغيره أن يتخـــذا ولدًا.

وذكره عند قولـــه : ﴿ **إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا** ﴾ [مريم : 93]. وهي استدلال على احتياج

---

(1) – التحـــرير والتنـــوير : الطاهر بن عاشور، ج16، ص : 173.

جميع الموجودات إليه وإقرارها بملكه إياها.

ونجد أن فعلان أبلغ من فعيل. ومن ثم الرحمن أبلغ من الرحيم.

وذهب ابن الأنباري، إلى أن الرحيم أبلغ من الرحمن، ورجحه ابن عساكر بتقديم الـــرحمن عليه، وبأنّه جيءَ على صيغة الجمع. كعبيد وهو أبلغ من صيغة التثنية.

وذهب قطرب إلى أنهما ســـواء.[1]

والمبالغة في القرآن تؤدي دورًا مهما في تثبيت وتأكيد المعنى أكثر فأكثر. حتى يصبح ذلك المعنى متمكنا ومتقررًا في النفس أشد الإقرار.

وأمّا عند بعض الكتاب فقد رأوا أن المبالغة ربما تحيل المعنى عن أصله الطبيعي، وتخلطه على القارئ حتّى يلتبس عليه الأمر فلا يدرك حقيقة الكلام.

ولقد قال ابن رشيق في عمدته (456هـ) : إن بعض الحذاق قالوا بأن المبالغة، ربما أحالت المعنى، ولبّسته على السامع، فليست لذلك من أحسن الكلام، ولا أفخره. لأنّها لا تقـــع موقـــع القبول. كما يقع الاقتصاد وما قاربه. ثم يقول : وليس كل مبالغة كذلك. ألا ترى أن التتميم إذا طلبت حقيقته كان ضربًا من المبالغة. وإن ظهر أنّه من أنواع الحشو المستحسن[2].

ولهذا ذكر البرهان الرشيدي. أنّ صفات الله تعالى التي على صفة المبالغة كلها مجاز. لأنهـــا موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها. لأن المبالغة أن يثبت للشيء أكثر مماله. وصفات تعالى متناهية، في الكمال، لا يُمْكن المبالغة فيها. وأيضا فالمبالغة تكون في صفات تقبـــل الزيـــادة والنقـــصان. وصفات الله منزهة عن ذلك[3].

ولقد جاء في كتاب إعجاز القرآن للباقلاني (403هـ) ما يلي << وماركينا عن صـــاحب الكلام[*]. من المبالغة في اللفظ، فليس ذلك بطريق الإعجاز، لأنّ الوجوه التي ذكرها قد تتفـــق في كلام غيره وليس ذلك بمعجز. بل قد يصح أن يقع في المبالغة في المعنى والصفة. وجوه من اللفـــظ

---

(1) - الإتقـــان في علوم القرآن : السيوطي، ج2، ص : 121.

(2) - العمدة في محـــسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد. ط5، [دار الجيل. بيروت. لبنان. 1401هـ-1981م]، ج1، ص : 53-54.

(3) - الإتقـــان في علوم القرآن : السيوطي، ج2، ص : 121.

(*) - صاحب الكلام : يقصد به أبو الحسن على بن عيسى الرماني المعتزلي (296-384)، صاحب كتاب : النكـــت في إعجاز القرآن

تثمر الإعجاز>>[1].

ومما نفهمه من قول الباقلاني أن الإعجاز لا يكون بالمبالغة. لأنها مما يمكن التدرب عليـــه، وإتقانه فيما بعد فترد ونقول : إن المبالغة فضيلة عظيمة لا يمكن دَفْعُها وإنكارها ولولا أنها في أعلى مراتب علم البلاغة لما جاء القرآن ملاحظا لها في أكثر أحواله. وجاءت فيه على وجوه مختلفـــة لا يمكن حصرها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(2) - إعجاز القرآن. أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر، ط1، [مؤسسة الكتب الثقافيـــة. بيروت. لبنان. 1411هـــ-1991م]، ص : 283.

الفصل الثاني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

المحسنات البديعية اللفظية في السورة

- المبحث الأوّل : الطباق .
- المبحث الثاني : المماثلة.
- المبحث الثالث : المقابلة.
- المبحث الرابع : الجناس.
- المبحث الخامس : السجع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعدما أخذنا في الفصل الأول المحسنات البديعية المعنوية التي احتوتها سورة مريم. والمتمثلة في : الالتفات، التجريد، التفريع، التتميم ، التقسيم، المبالغة.

وبعد الكشف عما يحتويه كل محسن من بلاغة وجمال في المعنى والقوة في التعبير.

نتطرق الآن للمحسنات البديعية اللفظية لنبين قيمة كل محسن. ولنكشف عن أسراره. وعن قيمته الجمالية. والبداية ستكون بالطباق.

* المبحث الأول : الطباق

- أولا : تعريفه.

أ – لغة : مأخوذ من مطابقة الفرس. أنْ يَضَعُ الفَرَسُ رِجْلِهِ في موضع يَدِهِ وهو الأحَق من الخَيْل.

وَمُطَابَقَةُ الفَرَسِ في جرْيِهِ: وضع رجليه مواضع يَدَيْهِ [1].

ب – **اصطلاحا** : وحقيقته أن يجمع في الكلام بين متضادين مع مراعاة التقابل بحيث لا يضم الاسم إلى الفعل ولا الفعل إلى الاسم [2]. كقوله تعالى: ﴿ **سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ** ﴾ [الرعد : 10].

وقول أيضًا : ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [آل عمران : 26].

وعرفه العلوي (745 هـ) في كتابه "الطراز" بأنه ويقال له التضاد والتكافؤ والطباق ، وهو أن يؤتي بالشيء وبضده في الكلام[3].

ثانيا : نماذج تطبيقية.

---

(1) – لسان العرب : ابن منظور، مادة (ط. ب. ق)، ج4، ص : 2639 .

(2) – الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق : جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط2، [دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1408هـ– 1988م]، ص : 215.

(3) – الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز : يحي بن حمزة العلوي، د.ط، [دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.د. ت]، ج2، ص : 377 .

- ورد الطباق في سورة مريم في أربعة عشرة أية حسب الجدول الأتـــي :

رقم الآية	الآيـــة الكريمـــة	الطبـاق بين
11	﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾	بكرةً – عشيًا
13	﴿ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾	تقيًا – عصيًا
15	﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾	يموت – حيًـــا
28	﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾	أبوك – أمـــك
33	﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾	أموت –حيـــًا
62	﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾	بكرةً – وعشيًا
65	﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾	سموات – الأرض
66	﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾	مت – حيـــًا
73	﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾	كفـــروا – أمنـــوا
76 - 75	﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ، وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾	خيـــر – خيـــر
90	﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾	السموات – الأرض
93	﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾	السموات – الأرض
97	﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾	تبشـــر– تنـــذر

و ممـــا يلاحظ على هذا الجـــدول :

(1) – ورود الطباق بين "بكرة – عشيا" مرتين في الآيتيـــن : (10-62).

(2) – ورود الطباق بين "الحياة والموت" ثلاث مرات في الآيات (14-32-66).

(3) – ورود الطباق بين "السموات والأرض" ثلاث مرات في الآيات (65-91-94) .

وفائدة الطباق أنه يستخدم في القرآن استخداماً نفسيا في مجال الترغيب والزهد. وذلـــك ليزداد المؤمنون اطمئناناً. وأهل الكتاب خوفاً ولإطماع الكافرين في الإيمان، وتحذير المؤمنين مـــن العصيان . ولذلك نجد في القرآن دوماً البشارة مع الندارة والجنة مع النار وهكذا.

وقد يكون الهدف من الطباق السخرية. كقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم : 66].

ونجد كثيرا من الباحثين لم يعطوا للبديع حقه من البحث والدراسة، أو الإعقال عن بعض المحسنات وذكر البعض منها. حسب ما يخدم أهدافهم المرجوة من البحث ومن هؤلاء عبد القاهر الجرجاني (174 هـــ) الذي يعود السر في صمته عن شرح ألوان البديع الأخرى أنه كـــان يريـــد البرهنة على فكرته في المعنى واللفظ وهي الفكرة التي بنى عليها كتابه. فـــأكتفى بـــالتطبيق علـــى الجناس والسجع. و هما أظهر بابين يبدو للناظر إليهما أن سر الجمال فيهمـــا يعـــود إلى اللفـــظ وحده [1]

ولهذا نراه عندما تكلم على الطباق قـــال : << أما التطبيق فأمره أ بين وكونـــه معنويـــاً أجلى وأظهر >>[2].

ومعنى ذلك أن التقابل والتضاد ليس في الألفاظ ولكن في معانيها.

ويرى القدماء أن الجمال في الطباق والبلاغة في الأداء اللغوي الخـــاص بـــه يعـــودان إلى توشيحه بنوع من البديع.

وقد أشار إلى هذا ابن حجة الحموي بقولـــه : <<والذي أقوله إن المطابقة التي يأتي بهـــا الناظم مجردة ليس تحتها كبير أمر ونهاية ذلك أن يطابق الضد بالضد وهو شيء سهل. اللهم إلا أن

---

[1] – عبد القاهر الجرجاني : وجهوده في البلاغة العربية : أحمد أحمد بدوي، ط2، [مكتبة. مصر. القاهرة. مـــصر. د. ت]، ص : 253 – 254.

[2] – أسرار البلاغة في عالم البيان : عبد القاهر الجرجاني، تحقيق : محمد الإسكندراني ط2، [دار الكتاب العـــربي. بـــيروت. لبنان. 1418هـــ– 1998م]، ص : 24 .

الترشيح نوع من أنواع البديع تقدم ذكره في البيعة والترويق كقوله تعالى : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : 27]، ففي العطف بقوله تعالى : ﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة قدر على أن يرزق بغير حساب من شاء من عباده.وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الرب -ﷻ- فأنظر إلى عظم كلام خالق هنا. فقد اجتمع فيه المطابقة الحقيقية والعكس الذي لا يدرك لِوَجَازَتِهِ وبلاغته. ومبالغة التكميل التي لا تليق بغير قدرته"[1].

ولكن ليس معنى ذلك أن المطابقة أو الطباق حينما تأتي وحدها من غير ترشيح بفن آخر لا قيمة لها. بل لها قيمتها لأنّ التضاد نفسه يؤدي إلى إيضاح المعنى وتقريب الصورة ، وكما قال أحدهم :

ضدان لما استجمعا حَسُنا ∴ والضد يظهر حُسْنَهُ الضِّدُ.

ولقد جاءت في كثير من الكلام مجردة فأدت دورها في التعبير .

---

[1] - خزانة الأدب : ابن حجة الحموي، ج1، ص : 160 - 161.

* المبحث الثاني : المماثلة.

- أولا : تعريفها.

أ – **لغة** : من فعل مَثَلَ يَمْثُلُ. وماثل مماثلة الشيء.

قال بن بَرِّي : الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين لأن التساوي هو التكافُؤُ في المقدار لا يزيد ولا ينقص. وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص. [1].

ب – **اصطلاحا** : عرفها أبو هلال العسكري (395هـ) في كتابه "الصناعتين" <<المماثلة أن يريد المتكلم العبارة عن معنى فيأتي بلفظه تكون موضوعة لمعنى آخر. إلا أنه ينبئ إذا أورده عن المعنى الذي أراده كقولهم "فلان نقي الثوب" يريدون به أنه لا عيب فيه>>[2].

ثانيا : نماذج تطبيقية.

ولقد وردت المماثلة في القرآن الكريم في مواضيع كثيرة منها : قول تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء : 29].

أي فمُثِلَ البخيل الممتنع من البذل بالمغلول. لمعنى يجمعهما وهو أن البخيل لا يمد يَده بالعطية فشبهه بالمغلول

وقول كذلك : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ [سبأ : 17]، فقوله ﴿ وَهَلْ نُجَازِي ﴾ إنما ورد على جهة التوكيد لما مضى من الكلام الأول.

أما في سورة مريم فقد وردت المماثلة في آية واحدة فقط قال تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : 65].

﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ أي هل " تعلم له شبيهاً "ومثلا يقتضي العبادة لكونه منعماً بجليل النعم وحقيرها. ومن ثم يجب تعظيمه غاية التعظيم بالاعتراف بربوبيته والخضوع لسلطانه والسمي:

---

(1) – لسان العرب : ابن منظور، مادة (م. ث. ل)، ج6، ص : 4132.

(2) – الصناعتين : أبي هلال العسكري، ص : 353.

المماثل في الاسم كقوله في يحي ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : 07].

والمعنى لا نعلم له مماثلا في اسمه " الله " فإن المشركين لم يسموا شيئاً من أصنامهم باسم "الله" باللام. وإنما يقولون للواحد منها "إله " فانتفاء تسمية غيره من الموجودات المغطمة باسمه كناية عن اعتراف الناس بأن لا مماثل له في صفة الخالقية. لأن المشركين لم يجترئوا على أن يدعو لأهتهم الخالقية. [1].

قال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [لقمان : 25].

والمماثلة موجودة في "سميا" يعني أن أصل السمي المشارك في الاسم. وذلك يقتضي المماثلة. ونفي السمي حينئذ يجوز أن يراد به نفي المشاركة. لأن الكفار و إن سموا أصنامهم آلهة لكنها تسمية باطلة لا اعتداد بها. لان اسم "الله" مختصا به فقط دون غيره من الموجودات.

---

[1] – التحرير والتنوير : الطاهر بن عاشور، ج16، ص : 143 .

* المبحث الثالث : المقـــابلة

- أولا : تعـــريفها .

أ – **لغـــة** : من فعل قَبل : وَقَابَلَ الشَيْءُ بالشَيْءِ مُقَابَلَةً. وقِبَالاً. عَارَضَهُ .
وَالمُقَابلة المُوَاجَهَةُ : وَالتَّقَابُلُ مِثْلُهُ. وهو قِبَالُكَ وقُبَالَتُكَ أي تُجاهُكَ [1].

ب – **اصطلاحـــا** : المقابلـــة أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما، ثم إذا اشترطت ههنا شرطا شرطة هناك ضده.[2].

ولقد تحدث ابن أبي الأصبع المصري (654هـ) في تحرير التحبير(*) عن صحة المقابلـــة في الكلام. فقال : <<صحة المقابلات عبارة عن توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي فإذ أتى في صدره بأشياء قابلها في عجزه بأضدادها. أو بأغيارها من المخالف والموافق على ترتيب بحيـــث يقابل الأول بالأول. والثاني بالثاني لا يخرم من ذلك شيئا في المخالف والموافق. ومن أخل بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة >>[3].

ويوجد فرق واضح بين الطباق والمقابلة وهذا ما قاله ابن أبي الإصـــبع في كتابـــه "بـــديع القرآن(*)" حيث يظهر الفرق من وجهـــين اثنيـــن :

1 - الطباق لا يكـــون إلا في ضـــدين فقـــط كقولـــه تعـــالى : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : 255]. والمقابلة لا تكون إلا بما زاد على الضدين من الأربعة إلى العشرة كقوله تعـــالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ [التوبة : 82]، وقـــوله أيضـــا : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل : 05-10].

2 - إن الطباق لا يكون إلا بالأضداد والمقابلة بالأضداد وغيرها[4].

---

(1) – لسان العرب : ابن منظور، مادة (ق. ب. ل)، ج5، ص : 3519 .

(2) – التبيان في البيان : الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، ط1، [دار البلاغة بيروت. لبنـــان. 1411 هـــ - 1991م]. ص : 220، وهاية الإ... ج7، ص : 101

(*) ... في المكتن من حصول ... الطباق المقابلة.

(3) – المقابلة في القرآن الكريم : ... مسلي يا طاهر، ط1، [دار عمار. عمان الأردن. 1420هـ -2000م]. ص : 15

(4) – معترك الأقران : السيوطي، ج1 ... : 416 وجواهر الأدب : الهاشمي، ج1 ص : 129.

ثـــانيا : نمـــاذج تطبيقيـــة.

والمقـــابلة في سورة مريـــم كثيـــرة منها قـــوله تعـــالى :

1 - قـــوله تعـــالى : ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ [مريم : 75]، نجد المقابلة بين ﴿ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ وقـــولهم ﴿خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ [مريم : 73] لأن المكان يرادف المقام الندي أريد به أهله فقوبل "خير نديا " بـــ ﴿ وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾.

والمقام اسم مكان من قام وأطلق مجازاً على الحظ والرفعة كما في قوله تعـــالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : 46] فبين لهم تعـــالى أنهم و إن ظنوا أن مترلتهم أفضل من حيث فضلهم الله تعالى بالمقام والندى فسيعلمون من بعد أن الأمر بالضد من ذلك وأنهم شر مكاناً فإنه لا مكان شر من النار ومن الحساب.

2 – وقـــوله تعـــالى : ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾[مريم: 82].

والمقابلة موجودة في قوله تعـــالى : ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ وهي في مقابلة "لهم عزًا" ، والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه و أرادوه كأنه قـــيلا و يكونـــون عليهم ذلا لا عزاً.

أو يكونون عليهم عوناً والضد العون. يقال من أضدادكم أي من أعوانكم كـــأن العـــون يسمى ضدا ، لأنه يضاد عدوك وينافيه لك عليه[1].

3 – قـــال تعـــالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [مريم : 38].

يعني أن الكافرين في الدنيا أثروا الهوى على الهدى فهم في ذهاب عن الدين، وعدول عـــن الحق. و المراد أنهم في الدنيا جاهلون، وفي الآخرة عارفون حيث لا تنفعهم المعرفة.

وهذا يدل على قـــوله : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ [البقرة : 18] ليس معناها الآفة في الأذن واللسان والعين، بل هو أنهم لا يتدبرون ما يسمعون، ويرون ولا يعتبرون. ألا ترى أنـــه جعـــل

---

[1] – تفسير الفخر : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي، ط1، [دار الفكر. للطباعة والنشر. لبنان. 1401هـــ-1981م]، مج11. ص : 251-252. والكشاف : الزمخشري، ج3، ص : 41 .

قـــوله : ﴿ لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ في مقابلته فأقام السمع والبصر مقام الهدى، إذ جعله في مقابلة الظلال المبين.

والثـــاني أن معناه اسمعهم وأبصرهم. أي بصرهم بهم، وبين لهم أنهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون في ظلال مبين عن الجنة والثواب[1].

4 – قـــال تعـــالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم : 47]

﴿ سلام عليك ﴾ توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة. فإن ترك الإساءة للمسيء إحسانا أي لا أصيبك بمكروه بعد و لا أشافهك بما يؤذيك[2] وهو نظير قوله تعـــالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص : 55].

5 – قـــال تعـــالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم : 59]. ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ هو عقب السوء فإضاعة الـــصلاة في مقابلـــة الحرور سجداً و إتباع الشهوات بإزاء البكاء[3].

6 – قـــال تعـــالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَانِ وَفْدًا ، وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم : 85-86]

الـــورود : من ورد أصله قصد الماء ثم يستعمل في غيره "وإن منكم إلا واردها" فقد قيل منه وَرَدْتُ ماء كذا إذا حضرته وإن لم تَشْرَعْ فيه[4].

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَانِ وَفْدًا ﴾ ، أي واذكر أيها الرسول لقومك. يوم نحشر المتقين

---

(1) – مجمع البيان تفسير القرآن : أبي علي الفصل بن الحسين الطبرسي، ط1، [دار المعرفة. بيروت. لبنـــان. 1406هـــ-1986م]، ج5، ص : 795.

(2) – روح المعـــاني : الألـــوسي، مج9، ج16، ص : 144 .

(3) – تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : نظام الدين القمي النيسابوري، بهامش كتاب تفسير الطبري، جامع البيـــان في تفسير القرآن، د.ط، [دار الفكر. ليروت. لبنان. 1398هـــ-1978م]، مج7، ج16، ص : 58.

(4) – المفـــردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني، ص : 534.

إلى دار الكرامة ركباناً كما يفد الوفود على أبواب الملوك، ينتظرون إكرامهم وإنعامهم.

﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ أي ونسوق الكافرون بالله إلى جهنم مشاة، قد تقطعت أعناقهم من العطش، فهم كالدواب التي ترد الماء[1].

حيث نجد المقابلة اللطيفة بين المتقين والمجرمين وبين حال الأبرار والأشرار

فهذه هي المقابلات التي أتت في سورة مريم. وهي من أسباب الجمال في الكلام. وبيان معانيه. وهي في القرآن الكريم من روائع البلاغة، أما في الكلام يجب أن تتاح للمتكلم عفواً بلا تعملٍ ولا تكلفٍ. أما إذا تكلفت أتت الألفاظ ثقيلة غليظة. فيفقد الكلام رونق السهولة و جمال التعبير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) – المراغي : أحمد مصطفى المراغي، ج14، ص : 84.

* المبحث الرابع : الجنـــاس

الجناس من ألطف مجاري الكلام. ومن محاسن مداخله. وهو من الكلام كالغرة في وجه الفرس.

- أولا : تعـريفه

أ - **لغـة** : الجِنْس وهو الضَّرْبُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ. وهو من الناس وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النحو والعروض والأشياء جملة.

والجِنسُ أَعَمُّ ومنه المُجَانَسَةُ والتَّجَنُّسُ. ويقال هذا يُجَانِسُ هذا أي يُشَاكِلُهُ. وفلان يُجَانِسُ البهائم ولا يجانس الناس إذ لم يكن له تمييز ولا عقل[1].

ب- **اصطلاحـا** :

عرفه العلوي (745 هـ) <<هو تفضيل من التجانس وهو التماثل، وإنما سُمِّي هذا النوع جناساً. لأن التجنيس الكامل أن تكون اللفظة تصلح لمعنيين مختلفين. فالمعنى الذي تدل عليه هذه اللفظة هو بعينها تدل على المعنى الآخر من غير مخالف بينهما>>. [2]

والجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس كلها ألفاظ مشتقة من الجنس فالجناس مصدر جانس.والتجنيس تفعيل من الجنس. والمجانسة مفاعلة منه، لأن إحدى الكلمتين إذا شابهت الأخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية. والتجانس مصدر تجانس الشيئان، إذا دخلا جنس واحد. فالتجنيس هو التجانس والجناس والمجانسة وكلها مشتقة من الجنس [3].

للجناس تعريفات كثيرة. وقد شرق الأدباء وغربوا فيه. كلٌ عرفه بتعريف خاص وكلٌ سماه باسم معين. لكنه في النهاية يدل على معنى واحد فقط : أن تشبه اللفظة أختها في الحروف. ولكن المعنى مختلف. كقولـه تعـالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [الروم : 55].

حيث الساعة الأولى هي يوم القيامة. ﴿ وَالسَّاعَةُ ﴾ الثانية هي ساعة من الزمن

---

(1) - لسان العرب : ابن منظور، مادة، (ج. ن. س)، ج1، ص : 100.

(2) - الطراز : العلوي، ج3، ص : 351.

(3) - المعجم المفصل في علوم البلاغة : إنعام فوال عكاوي، ص : 466 .

ثـــانياً : أنـــواع الجنـــاس.

I – جنـــاس الاشتقـــاق :

أ – **لغـــة** : اشتِقَاقُ الشيءِ : بُنْيَانُهُ من المُرْتَجَلِ. واشتقاقُ الكلامِ : الأَخْـــذُ فِيـــهِ يمينـــاً وشِمَالاً. واشتقاقُ الحَرْفِ من الحَرَفِ: أَخْذُهُ مِنْهُ[1].

ب – **اصطلاحـــاً** : أن يجمع بين اللفظتين الاشتقاق. ويسمى المقتضب[2].

كقـــوله تعـــالى : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ﴾ [الأنعام : 79].

وقـــوله : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ [الروم : 43].

وأيضـــا : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ [الواقعة : 89].

حيث وقع جناس الاشتقاق بين كل من : وجهت وجهي – فأقم، القيم، فروح، ريحان.

أما في سورة مريم فقد ورد جناس الاشتقاق في أربع آيـــات :

1 – قـــال تعـــالى : ﴿ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ [مريم : 03].

نادى ربه لكي يهب له الولد. وهذا النداء كان خفيـــة أي ســـراً في جـــوف الليـــل لأن المستحب من الدعاء ما يكون مخفياً عن الناس لقوله تعـــالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف : 55]. وحتى لا يقول قومه انظروا إلى هذا الشيخ الكبير الذي قد بلغ من الكبر عتيا، واشتعلت رأسه شيبا، وكانت امرأته عاقرًا، انظروا إليه يدعو بالذرية والولـــد !! فيتهمونه بما لا يليق به. لقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [الأعراف : 205].

وجناس الاشتقاق موجود بين نـــادى – نـــداء.

2 – قـــال تعـــالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم : 83].

بمعنى سلطانهم عليهم وقيضناهم بكفرهم.

---

(1) – لسان العرب : ابن منظور، مـــادة، (ش. ق. ق)، ج4. ص : 2302.

(2) – المعجم المفصل في علوم البلاغة : إنعـــام فوال عكاوي، ص : 469.

تؤزهم أزاً : تزعجهم إزعاجاً حتى يركبوا المعاصي[1].

وجنـــاس الانشقـــاق موجود بين : تؤزهـــم وأزاً.

3 – قـــال تعـــالى : ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم : 84].

بمعنى لا تجعل بطلب عذابهم. فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم إلا أيـــام محـــصورة وأنفاس معدودة. كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها وعدت[2].

ونحوه قـــوله تعـــالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ﴾ [الأحقاف : 35]. وقوله أيضا : ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [الطارق : 17].

والجنـــاس مـــوجودا بين : نعـــد وعـــداً

4 – قـــال تعـــالى : ﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم : 94].

بمعنى علم عددهم و لا يخفى عليه عددهم مع كثرتهم.

وجنـــاس الاشتقـــاق مـــوجود بين : عـــددهم – عـــداً.

II – الجنـــاس النـــاقص :

هذا الجناس اختلف العلماء في تسميته فمنهم من سماه " تجنيس الترجيع" وسماه التبريـــزي "الجناس الناقص" وسمي كذلك "تجنيس التذييل" وسمته إنعام فوال عكاوي باسم "جناس التداخل".

وحقيقة هذا الجناس : أن تختلف الكلمتين في أعداد الحروف فقط ويكون على وجهين :

– أن يختلفا بزيادة حرف واحد في الأول.

– أن يختلفا بزيـــادة أكثر من حرف. [3]

وبعبارة أخرى هو الذي يوجد في إحدى كلمتيه حرف لا يوجد في الأخـــرى، وجميـــع حروف الكلمة الثانية موجودة في الأولى.

---

[1] – زاد المسير في علم التفسير : أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغـــدادي، تحقيـــق : محمد بن عبد الرحمن عبد الله، ط1، [دار الفكر. بيروت. لبنان. 1407هـــ-1987 م]، ج5، ص : 183.

[2] – الكشاف : الزمخشري، ج3، ص : 42.

[3] – الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، تحقيق : محمد عبد المـــنعم حقـــاجي، د.ط، [الشركة العالمية للكتاب. بيروت. لبنان.1989م]، ص : 538.

كقوله تعـــالى : ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ [القيامة : 29-30].

فزيادة الميم في "المساق" هو الذي أوجب كونه جناساً ناقصاً.

ولـــقد وقع الجناس الناقص في سورة مـــريم في آيتيـــن فقط :

قـــال تعـــالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم : 23].

والجنـــاس الناقص موجود بين : نسياً ومنسياً

حيث زادت الكلمة الثانية على الأولى بحرف واحد هو الميم.

قـــال تعـــالى : ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم : 59].

الجناس الناقص موجود بين : فخلف وخلف. زادت الكلمة الأولى على الثانية بحرف واحد هو الفاء.

III – جنـــاس التصـــريف :

أ – **لغـــة** : من صرف رَدُّ الشَّيْءِ عَنْ وَجْهِهِ. صَرَفَهُ يَصْرِفُهُ صَرْفاً، فانْصَرَفَ وصَـــارَفَ نَفْسَهُ عَنْ الشَيْءِ : صَـــرَفَها عَنْـــهُ. وقـــــوله تعـــــالى : ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ [التوبة : 127]، أي رَجَعُوا عَنِ المَكانِ الذي استمعوا فيه[1].

ب – **اصطلاحـــا** :

عرفه أسامة بن منقذ (584 هـــ) في التصريف << هو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف >>[2]، كقوله تعـــالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [فاطر : 42].

---

(1) – لسان العرب : ابن منظور مـــادة، (ص. ر. ف)، ح4، ص : 2434.

(2) – المعجم المفضل في علوم البلاغة : إنعام فوال عكاوي، ص : 480

حيث نجد الجناس بين أهدى وإحدى.

أو هو ما تساوى فيه حروف الرُّكنين في الأعداد والزِّنة والحركات وتخالف في التركيب ويسمى مقلوب البعض والمخالف[1].

ومثاله قول أبي تمام :

بيض الصفائح لا سود الصحائف في ∴ متونهن جلاء الشك والريب[2].

جناس الشاعر جناس التصريف، بين لفظي "الصفائح" بمعنى الصحيفة، والصحائف بمعنى الصحيفة من الكتب الخاصة بالمنجمين.

وجناس التصريف وقع في سورة مريم في آيتين اثنتين هما :

1 – قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [مريم : 68] .

ولقد ورد جناس التصريف بين "لنحشرنهم ولنحضرنهم" حيث تغير الحرف الرابع من الشين إلى حرف الضاد .

2 – قال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَانِ وَفْدًا ، وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم : 85-86].

ونجد جناس التصريف بين "وفدًا" و"وردًا" حيث تغير الحرف الثاني من الفاء إلى حرف الراء .

ومن خلال الجدول الآتي سألخص أنواع الجناس الموجودة :

---

(1) – المرجع نفسه : الصفحة ذاتها.

(2) – ديوان : أبي تمام الطائي، فسر ألفاظه اللغوية، محي الدين الخياط، [طبع مرخصًا من نضارة المعارف العمومية الجليلة]، ص : 07.

رقم الآية	الآيـــة الكـــريمـــة	الجنـــاس	نـــوعه
03	﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾	نـــادي – نداء	اشتقـــاق
23	﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴾	نسيا – منسيا	نـــاقص
59	﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾	فخلف – خلف	نـــاقص
68	﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾	لنحشرهم– لنحضرهم	تصريـــف
83	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾	تؤزهم – أزًا	اشتقـــاق
84	﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾	نعـــد – عـــدًا	اشتقـــاق
85	﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَانِ وَفْدًا ﴾	وفـــدًا – وردًا	تصريف
86	﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾		
94	﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾	عدهم – عـــدا	اشتقـــاق

وفائدة الجناس الميل إلى الإصغاء إليه، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلا وإصغاءًا إليهـــا. ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى. ثم جاء والمراد به آخر كان للنفس تشوق إليه.

ونجد جناس القرآن يختلف على جناس البشر، لأن الألفاظ والمعاني مرسلة على ســـجيتها، أي اللفظ يساعد المعنى والعكس، وحينئذ تُبعد عن التكلف ويظهر فيها الالتئام .

وأما من راعى اللفظ. وأغفل المعنى. نجده يوقع السامع في الحيرة والارتباك. لأن الجناس هو استدعاء مَيْـــل السامع إلى الانتباه والإنصات. لأن النفس ترى حَسنٌ الإفادة في تكرار الكلمـــات حيث كل كلمة تحمل معنًا معينًا، ولكن معنًا يخدم الكلمتين معًا.

ولقد قال عبد القاهر الجرجاني (474هـ) في الجناس : << وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسًا مقبولا. ولا سجعًا حسنًا. حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى لا تبتغي به بدلا ولا تجد عنه حِوَلا (*). ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه. وأحقه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهب لطلبه. أو ما هو لحسن ملاءمته. وإن كان مطلوبًا. وبهذه المنزلة وفي هذه الصورة>>(1).

أي أن المتكلم لم يقصد المعنى نحو التجنيس بل قاده المعنى إليه.

ولقد برهن عبد القاهر في جميع ما كتبه على أن البلاغة إنما تعود إلى المعنى وحده. وأن الألفاظ تابعة للمعنى. والألفاظ ترتب في النطق على حسب ترتيب المعاني في النفس. ولذا كان أفضل طريق للإنتاج الأدبي عنده هو أن ترسل المعاني على سجيتها. وتدعها. وتطلب لنفسها الألفاظ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتسب إلا ما يليق بها.

ولكي يبرهن عبد القاهر على صحة دعواه. و أنه لا سبيل إلى نقضها عرض لما يبدو بادئ ذي بدء آن الجمال يعود فيه إلى اللفظ دون المعنى. وأظهر ذلك في الجناس والسجع. فقد يبدو للرائي أن الجمال فيهما يعود إلى هذه الموسيقى اللفظية التي نحس بها في هذين اللونين من المحسنات .

ويبادر عبد القاهر الجرجاني إلى نفي ذلك، إذ يرى أن التجنيس لا يستحسن فيه تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما في العقل موقعًا حميدا. ولم يكن الجامع بينها سببًا بعيدا(2).

والنتيجة التي توصل إليها عبد القاهر الجرجاني أن التجنيس لا يتم له فضيلة في الكلام. <<إلا بنصرة المعنى بأن لو كان الجمال باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن، ولما وُجد فيه إلا معيب مستهجن ، ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به>>(3).

ولقد أنكر الباقلاني (403هـ) إنكارًا تامًا وقوع الإعجاز بالتجنيس (الجناس) أو غيره. لهذا نجده في كتابه يقول بعد كلامه عن السجع . بأن الإعجاز لا يلتمس بالتجنيس << وكذلك "التجنيس" و "التطبيق" متى أخذ أخذهما وطلب وجهها. استوفى ما شاء و لم يتعذر عليه أن يملأ

(*) – حِوَلاً : التحول والانصراف عن الأمر.

(1) – أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني، ص : 16.

(2) – أسرار البلاغة : الجرجاني، ص : 13.

(3) – المصدر نفسه : ص : 14.

خطابه منه. كما أولع بذلك أبو تمام والبحتري، وإن كان البحتري أشغف بالمطابق و أقل طلبًا للمجانس >>[1].

ونرد ونقول إن الباقلاني مخطئٌ في دعواه، لأن الجناس ورد في القرآن الكريم وهو أبلغ و أوضح كلام ، و إذا جاء بهذا الفن.

فهذا يدل على إعجازه. والشيء الذي حمل الباقلاني على عدم الاعتراف بهذا الفن في الإعجاز. هو مبالغة الشعراء حيث حرصوا على ألا يفوقهم شيء منها في كل بيت من الشعر. أو قطعة من النثر كما صنع أبو تمام في قصائده. وبالغوا فيه حتى أصبح الواحد منهم مختصًا بنوع من أنواعه كالبحتري الذي كان أشغف بالمطابق وأقل طلبًا للمجانس.

ونجد للأصمعي كتاب سماه "الأجناس". ولأبي عبيد القاسم بن سلام كتاب " **الأجناس من كلام العرب و ما اشتبه في اللفظ و اختلف في المعنى**" ذكر فيه الألفاظ المتفقة في الشكل و المختلفة في المعنى.

و في ختام جولتنا مع الجناس أضع بين أيديكم هذين الجناسين ليكونا ختامه مسكًا :

قال أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- :

[لَوْ كُنْتُ تَاجِرًا مَا اخترت غَيْرَ العطرِ ∴ إن فآتني ربحة لَمْ يَفُتَنِي رِبحَهُ].

وقال رب العزة :

﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين : 26].

---

[1] - إعجاز القرآن : الباقلاني، ص : 284 .

* المبحث الخامس : السجع

السجع طريقة في الإنشاء سارت منذ القدم في النثر العربي وراجت كثيرًا في عصور التنميق مع ما راج من محسنات بديعية.

- أولا : تعريفه.

أ – **لغة** : مأخوذ من سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعًا : استوى وَاسْتَقامَ وأشْبَه بَعْضُهُ بَعْضًا . والسَّجْعُ : الكلام المُقَفَّى. والجَمْعُ أسْجاعٌ وأساجِيعُ . وكلامٌ مُسَجَّعٌ .وَسَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعًا وَسَجَّع تَسْجِيعًا : تكلم بكلام له فواصل. كفواصل الشعر من غير وزن. و صاحبه سَجَّاعةٌ. وهو من الاستواء والاستقامة والاشتباه. كأن كل كلمة تشبه صاحبتها[1].

ب - اصطلاحًا : هو تواطؤ الفاصلتين في النثر على حرف واحد[2]

هذا معنى قول السكاكي <<الأسجاع في النثر، كما في القوافي في الشعر>>[3].

ويعرفها محمد الحسناوي في تعريف جامع بقوله << الفاصلة كلمة أخر اللآية كقافية الشعر وسجعة النثر>>[4].

وأما في القرآن الكريم فنقول الفاصلة حيث تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها. و هي الطريقة التي يباين بها القرآن الكريم بقية الكلام. وسميت فواصلاً لأنه ينفصل عندها الكلامان حيث إن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها[5]. وهذا أخذًا من قوله تعالى : ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : 01].

- ثانيا : إثبات السجع و نفيه.

مما تجدر الإشارة إليه كلما ذكر السجع ذكرت الفاصلة، وكلما ذكرت الفاصلة ذكر

---

(1) – لسان العرب : ابن منظور، مادة (س. ح. ع)، ج3، ص : 1944 .

(2) – الإيضاح : الخطيب القزويني، ص : 547.

(3) – مفتاح العلوم : أبي يعقوب يوسف أبي بكر محمد بن محمد بن على السكاكي. تعليق. نعيم زرزور، [دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1407هـ- 1987م]، ص : 431

(4) – الفاصلة في القرآن : محمد الحسناوي، ط1، [دار عمار للنشر والتوزيع. عمان. الأردن. 1421هـ-2000م]، ص : 29.

السجع. وبرزت في الأفق قضية وجود السجع في القرآن من عدمه، فتعددت الآراء بين منكر وبين مثبت لهذه القضية.

وبادئ ذي بدء نأخذ تعريف الروماني (296هـ- 386هـ) للفاصلة الفواصل حروف متشكالة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني، و الفواصل بلاغة و الأسجاع عيب. وذلك لأن الفواصل تابعة للمعاني. و أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها[1].

وأحسن رد على تعريف الروماني ما قاله ابن سنان الخفاجي (446هـ) :

<< فأما قول الروماني : أن السجع عيب والفواصل بلاغة على الإطلاق فغلط. لأنه إن أراد بالسجع ما يكون تابعًا للمعنى وكأنه غير مقصود، فذلك بلاغة والفواصل مثله، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعاني تابعة له، وهو مقصود متكلف فذلك عيب والفواصل مثله، وكما يعرض التكلف في السجع عند طلب تماثل الحروف. كذلك يعرض في الفواصل عند تقارب الحروف، وأظن أن الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كل مافي القرآن فواصل، و لم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا رغبته في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم. وهذا غرض في التسمية قريب >>[2].

وقد ذمة البعض واستحسنه البعض الأخر، وسبب ذمه أنهم رأوا الرسول -ﷺ- ذمَّ سجع الكهان. حينما قال لبعضهم منكراً عليه، وقد كلمه بكلام مسجوع << أَسَجْعًا كَسَجَعِ الْكُهَانِ >> .

ورأى ابن الأثير أن النبي الكريم لم يذم السجع كله. وإنما ذم ما كان مثل سجع الكهان لا غير، وقد ورد في القرآن الكريم، وعلل ذم بعضهم للسجع بقوله : << وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة، ولا أرَى لذلك وجْهًا سِوَى عجزهم أن يأتوا بهِ. وإلا فلو كان مذمومًا لَمَا ورد في القرآن الكريم، فإنه أتى منْه بالكثير. حتى أنه ليؤتي بالسورة جميعًا مسجوعة : كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرها. وبالجملة فلم يخل منه سورة من السور >>[3].

---

(1) - النكت في إعجاز القرآن : ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) : أبي الحسن على بن عيسى الرماني، تحقيق : محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلوم سلام. ط4، [دار المعارف. القاهرة. مصر. د.ت]، ص : 97 .

(2) - سر الفصاحة : أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي الحلبي، تحقيق : على فودة، ط1، [مكتبة الخانجي. مصر. 1350هـ- 1932م]، ص : 166.

(3) - المثل السائر : ابن الأثير، ج1، ص : 308 .

ولقد تقبل الجرجاني السجع ولكن بشرط أن يُصفى من الغثاثة وأن يكون اللفظ تابعاً للمعنى لأنّك لا تجد تجنسًا مقبولاً ولا سجعًا حسنًا. حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه، وساق نحوه . وحتى تجده لا تبتغي به بدلاً، ولا تجد عنه حولاً [1].

ومن أشهر الذين نفوا السجع عن القرآن الكريم أبو بكر الباقلاني (403هـ) لأن <<لو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم .ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز .ولو جاز أن يقولوا هو سجع معجز، لجاز لهم أن يقولوا شعرًا معجزًا، وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب. ونفيه من القرآن أجدر، بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر>>[2].

ونرد على الباقلاني ونقول إن السجع موجود في القرآن الكريم، ولكنه يأبى أن يعترف به، لأن الاعتراف بوجوده في القرآن يتضمن الاعتراف بأنه غير خارج عن أساليب كلام العرب، والإعجاز في رأيه ينحصر في الأسلوب. وما دمنا سلمنا بأن القرآن معجز فإنّه يجب أن نؤمن بأنّه غير مسجوع وإلا ساوينا بينه وبين سائر الكلام.

ألا ترى خير دليل على وجود السجع في القرآن. سورة مريم -عليها السلام- التي كانت تقريبًا مسجوعة على حرف الياء ، وهذا يجوز لصاحب السجع أن يأتي به.

وكان -عليه السلام- قد غير اللفظة عن وضعها. طلبًا للسجع كقوله -عليه السلام- ﴿ *أُعِيذُه مِنَ الصَامَةِ وَالسَّامَةِ وَكُلَ عَيْنٍ لَامَةٍ* ﴾ و إنما أراد "ملمة" وقوله -عليه السلام- ﴿ *ارْجَعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ* ﴾ وإنما أراد "مَوزُرات" من الوِزْر. وصحة التشجيع في كل هذا أن يكون برئ من التكلف وخال من التعسف.

ومنه نقول إنّه لا يوجد سبب للفصل بين الفاصلة والسجع، فالفاصلة أو السجعة في القرآن تؤدّي دورها تمامًا كما تؤديه في غيره من الكلام الفني الجميل[3].

- ثالثا : نماذج تطبيقية.

ومما سبق نقول إن السجع (الفاصلة) موجود بكثرة في القرآن الكريم، حتى أنه تورد بعض السور مسجوعة كلها، أو بعضها كسورة الرحمن مثلا، أما سورة مريم فالسجع كثيرا جداً،

---

(1) – أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني، ص : 16 .

(2) – إعجاز القرآن : الباقلاني، ص : 84.

(3) – أثر القرآن في تطور النقد العربي : محمد زغلول سلام، ط 1، [دار المعارف. القاهرة. مصر. 1902م]، ص : 277

وحيث تنوعت فواصل السورة بين حروف : الياء، الدال، النون، الميم، الزاي، وهذا ما سيوضح في الجداول الآتية :

1 - حرف الياء.

حرف الفاصلة	الكلمات
الياء	زكريا – خفيا – شقيا – وليا – رضيا – سميا – عتيا – شيئا سويا – عشيا – صبيا – تقيا – عصيا – حيا – شرقيا – سويا تقيا – زكيا – بغيا – مقضيا – قصيا – منسيا – سريا – جنيا إنسيا – فريا – بغيا – صبيا – نبئا – حيا – حيا – بنيا شيئا – سويا – عصيا – وليا – مليا – حفيا – شقيا – نبيئا عليا – نبيا – نجيا – نبيا – نبيا مرضيا – بنيا – عليا – بكيا عنيا – شيئا – مأتيا – عشيا – تقيا – نسيا – سميا – حيا شيئا – جثيا – عتيا – صليا – مقضيا – جثيا – نذيا – رئيا.

2 - حرف الدال.

حرف الفاصلة	الكلمات
الدال	مدًا – جندا – مراد – ولدا – عهدا – مدا – فردا – ضدا عدا – وفدا – وردا – عهدا – ولدًا – إدا – هدا – ولُدًّا ولدًا – عبدًا – عدًّا – فردًا – ودًا – لُدًّا.

3 - الحرف النون

حرف الفاصلة	الكلمات
النون	يمترون – فيكون – مبين – يومنون – يرجعون.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4 - حـــرف الـــميـــم

حرف الفاصلة	الـكلمـات
الـــميـــم	مستقيم – عظيم - إبراهيم

5 - حـــرف الـــزاي

حرف الفاصلة	الـكلمـات
الـــزاي	عـــــزاً – أزًا – ركـــــزًا

نلاحظ تنوع الفواصل حيث نجد :

- حرف اليـــاء ورد في : خمس وستين كلمة.
- حرف الـــدال ورد في : اثنان وعشرون كلمة.
- حرف النـــون ورد في : خمس كلمات.
- حرف الميـــم ورد في : ثلاث كلمات .
- حرف الـــزاي ورد في : ثلاث كلمات .

• بعض هذه الفواصل تكررت في كلمة واحدة أكثر من مرة :

- **شقيـــا** : فاصلتها الياء تكررت : ثلاث مرات في الآيات : [03-81-48] .
- **وليـــا** : فاصلتها الياء تكررت : مرتين في الآيات : [04-45] .
- **سميـــا** : فاصلتها الياء تكررت : مرتين في الآيات : [06-65].
- **شيئـــا** : فاصلتها الياء تكررت : أربع مرات في الآيات : [08-42-60-67]
- **سويـــا** : فاصلتها الياء تكررت : مرتين في الآيات : [09-43]
- **عشيـــا** : فاصلتها الياء تكررت : مرتين في الآيات : [10-62]
- **صبيـــا** : فاصلتها الياء تكررت : مرتين في الآيات : [11-28]
- **تقيـــا** : فاصلتها الياء تكررت : ثلاث مرات في الآيات : [12-17-63].
- **عصيا** : فاصلتها الياء تكررت : مرتين في الآيات : [13-14]

- **حيـــا** : فاصلتها الياء تكررت : أربع مرات في الآيات: [14-30-32-66]
- **بغيـــا** : فاصلتها الياء تكررت : مرتين في الآيات : [19-27]
- **مقضيا** : فاصلتها الياء تكررت : مرتين في الآيات : [20-71].
- **نبيئـــا** : فاصلتها الياء تكررت : سبع مرات في الآيات : [29-41-49-51-53-84-56]
- **عليـــا** : فاصلتها الياء تكررت : مرتين في الآيات : [50-57]
- **جثيـــا** : فاصلتها الياء تكررت : مرتين في الآيات : [68-72]
- **مـــدا** : فاصلتها الدال تكررت : مرتين مرات في الآيات : [75-80]
- **ولـــدًا** : فاصلتها الدال تكررت : أربع مرات في الآيات : [78-89-92-93]
- **عهـــدا** : فاصلتها الدال تكررت : مرتين في الآيات : [81-96].
- **فـــردًا** : فاصلتها الدال تكررت : مرتين في الآيات : [81-96].

ومن هذه الإحصاءات للفواصل والكلمات نحسن أن للسورة إيقاعًا موسيقيا خاصًـــا. فحـــتى جرس ألفاظها. وفواصلها فيه رخاء و فيه عمق مثل :
رضيا- سريا- حفيا – نجيا ...

والمواضيع التي تقتضي الشدة والعنف. فتجئ فيها الفاصـــلة مـــشددة ودالاً أو زايـــا مثـــل : مدًا – هدًا – إدّا – عزًّا – أزًّا – ركزًا.

وتنوع الإيقاع الموسيقي والفاصلة بتنوع الجو والموضوع يبدو جليًا في هذه السورة. فهي تبدأ بقصة زكريا ويحي فتسير الفاصلة :

على حرف الياء هكذا : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا، قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ [مريم :02-05].

ثم تليها قصة مريم وعيسى فتسير الفاصلة على النظام نفسه : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا، قَالَتْ أَنَّى

﴿ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بَغِيًّا . . . . . وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم : 16-32].

وتسير الفاصلة على هذا النسق، إلى أن ينتهي القصص ويجئ التعقيب لتقرير حقيقة عيسى بن مريم فيختلف نظام الفواصل. وتنتهي بحرف الميم أو النون الساكنة عند الوقف. لا بالياء الرخية على النحو الآتي :

﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ، مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ، فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ، أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [مريم : 34- 38].

وهكذا يتغير نظام الفاصلة فتطول وتصبح بحرف النون أو بحرف الميم، وقبلها مد طويل، وكأنما هو في هذه الآيات الأخيرة يصدر حكمًا بعد نهاية القصة مستمدًا منها .

وإذا انتهى التقرير والفصل، وعاد السياق إلى القصص عادت الفاصلة الرخية المديدة ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ [مريم : 41-43].

وإذا جاء ذكر المكذبين وما ينتظرهم من عذاب وانتقام، تغير الإيقاع الموسيقي، وتغيرت الفاصلة ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَانُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ [مريم : 75].

وفي موضع الاستذكار يشتد الحرس و النعم بتشديد الدال ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم : 88-90].

وهكذا يسير الإيقاع الموسيقي في السورة وفق المعنى والجو، ويشارك في إيقاع الظل الذي يتناسق مع المعنى في ثنايا السورة، وفق انتقالات السياق من جو إلى جو ومن معنى إلى معنى[1].

ومما نلاحظه أن الفواصل التي انتهت بها سورة كانت بين : حرف الياء والميم والنون ولهذا نجد قول الرافعي : <<وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن، إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى. وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت، اتفاقاً تامًا عجيبًا. يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه. بما ليس وراءه في العجب مذهب. وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم. وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها. أو بالمد وهو كذلك طبيعي في القرآن، فإن لم تنته بواحدة من هذه. كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى، كان ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها>>[2].

والنتيجة التي نخرج بها بعد دراستنا لخواتم الفواصل نقول إن نوع الموضوع والتعبير يتحكم في الإيقاع، وأنه من الصعب القول إن الإيقاع في السور المكية يتميز بحروف معينة، وفي السور المدنية بحروف أخرى.

بل إن الحروف مشتركة في السور المكية والمدنية على حد سواء، وأن الذي يُميز نغمة الإيقاع الموضوع والمحتوى. إلا أنه بصورة عامة يمكن القول -كما أشار الزركشي والسيوطي- بأن انتهاء الفواصل القرآنية يكون بكثرة بحروف المد واللين .

لهذا قال حسن ضياء الدين عتر<<فإذا أوقفت على تماثل أنغام الفواصل أحيانًا و تقاربها أحيانًا أخرى، وعلى انسجام كل منها مع جرس الكلمات وإيقاع المقاطع في آياتها أدركت أن ههنا سرًا عظيمًا من أسرار الإعجاز البياني يأسر البشر ويستعصى على عبقرياتهم>>[3].

ومنه نجد الفاصلة القرآنية تخدم اللفظ. إذ تلعب دور الحلية والتجميل، وهي تكسب الكلام رونقًا وبهاءً وإيقاعًا محببًا خلابًا، يبهر المتلقي ويجذبه بدقة الصيغ وإحكام الأداء.

ولكنها فضلاً على هذه الوظيفة الجمالية نجد الفاصلة لا توجد إلا حيث يكون السياق

---

(1) - في ظلال القرآن : سيد قطب، د.ط،[دار الشروق. القاهرة. مصر. 1408هـ-1988م]، مج4، ج16، ص : 2301 .

(2) - إعجاز القرآن و البلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي، ط8، [المكتبة التوفيقية. مصر. د.ت]، ص : 216- 217.

(3) - بيانات المعجزة الخالدة : حسن ضياء الدين عتر، ط1، [دار النصر. حلب. سوريا. 1395هـ-1975م]، ص : 260.

مستدعيًا غيره، ونظم الكلام هو الذي يقتضيه[1].

فهذه هي الخصوص القرآنية التي تحس عند سماع القرآن أو تلاوته. أن لها نغمات نفسية ومعنوية. وإيقاعًا يعطيك متعة فنية مؤثرة. تبث في الفؤاد الطمأنينة والارتياح .

وخلاصة الكلام أن القرآن العظيم من جنس منثور كلام العرب. في ألفاضه وعباراته، ولكنه مباين في علو طبقته، وسمو درجته لجميع كلام الخلق وأسلوبه فهو من المنثور الجامع لخصائص أبلغ فنونه. وأعلى طبقات أنواعه، فيه سجع يقتضيه المقام، وفيه ترسل يبلغ غاية المرام، وهو في كليهما معجز خارج عن طريق البشر.

وفي نهاية الفصلين ألاحظ وجود آيات من سورة مريم، قد احتوت على أكثر من محسن بديعي، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على بلاغة القرآن. التي فاقت بلاغة العرب، وأعجزهم على أن يأتوا حتى بآية فما استطاعوا ، ويدل من جهة أخرى على أن البديع موجود في القرآن الكريم وبكثرة. هذه الآيات كالآتي:

1 – قال تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : 65].

- احتوت على المماثلة في كلمة : مسميا .
- احتوت على الطباق بين : السماوات و الأرض .
- احتوت على التفريع في : واعبده و اصطبر لعبادته .

2 – قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَانِ عِتِيًّا ﴾ [مريم : 69]

- احتوت على المبالغة التي على صيغة فعلان في كلمة : الرحمن
- احتوت على الالتفات في : على الرحمن

3 – قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا، وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ [مريم :75- 76] .

---

[1] – في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم. وليد قصاب، ط1، [دار القلم للنشر والتوزيع، دبي 1421هـ-2000م]، ص : 129.

- احتوت على الطباق بين : شر – خير

- احتوت على التقسيم بين : من هو شر مكانًا و أضعف جندًا .

4 - قال تعالى : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَانِ وَفْدًا ، وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم : 85- 86].

- احتوت على المقابلة بين المتقين والمجرمين وبين حال الأبرار والأشرار.

- احتوت على المبالغة التي صيغة فعلان في كلمة : الرحمن.

- احتوت على جناس التصريف بين : وفدًا – وردًا .

5 – قال تعالى : ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا﴾ [مريم : 93] .

- احتوت على الطباق بين : السماوات و الأرض .

- احتوت على المبالغة التي على صيغة فعلان في كلمة : الرحمن.

وفي الأخير أقول إن هذه الأنواع البديعية – المذكورة في هذا البحث. ترتقي وتبلغ الذروة حين لا تقصد لذاتها وإنّما يجري بها الكلام دون تكلف، فمتى عُمد إلى استجلابها كَدُرَ صفوها. وانطفأ بريقها.

وبما أن القرآن الكريم هو أعلى بيان. فقد كان لا يعمد إلى الألفاظ لذاتها. وإنّما كان يستعمل الكلمة المؤدية للمعنى في أوضح صورة وأرشق عبارة فتجلى بلفظه ومعناه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

جمالية الإيقاع في السورة

- المبحث الأوّل : الحـــرف .
- المبحث الثاني : المـــدود.
- المبحث الثالث : المفـــردة.
- المبحث الرابع : الجملـــة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الإنسان في أثناء عمله يقطع ويدق ويسحق وينقر ويشكل أشكال مختلفة. وإذا أمعنا النظر في هذه الأشياء. نجد كل واحدة منها تحدث صوتاً معينًا. أو إيقاعاً خاصاً.

ومنه فالإيقاع لغة : مِنْ إيقاع اللَّحْنِ وَالْغِناءِ وهُوَ أَنْ يُوقِعَ الأَلْحانْ ويُبيِّنُها [1].

ومنه فالإيقاع يكون متصلا بالحركة. وغير منفصل عنها. ولا ينفصل إلا إذا كانت عشوائية وغير فنية. ومن ثم فهي من لوازمه. والنظام يعني الترتيب والتناسق والمعاودة الدورية ضرورية لكي يتحقق الإيقاع. إذ لا إيقاع بلا تكرار ومعاودة [2].

فالإيقاع إذن هو نظام تتوالى بموجبه المقاطع الصوتية. إذ لا يمكن أن يكون هناك إيقاع بلا تكرار حرف، أو كلمة، أو عبارة، أو جملة أو سياق... لهذا نجد نوعين من الإيقاع : الإيقاع الداخلي ونعني به جرس اللفظ المفرد ووقعه في النفس. ومدى توافق بين هذا الإيقاع وبين ما ينطوي عليه اللفظ من دلالة وإيحاء.

وأما الخارجي فنعني به : ارتباط عدد من الألفاظ وتآلفها مع بعضها البعض[3].

ونقصد بالإيقاع أيضا تلك الموسيقى التي تظهر في الارتباط المتناسق بين الألفاظ ومعانيها حيث يتلاقى جرس حروفها مع إيحاء مدلولها << فالترتيب المتقارب المنسجم يؤدي إلى موسيقية فريدة في القرآن الكريم تؤكد جليا إعجازه الصوتي. وتظهر الموسيقية كذلك في صفات الحروف، فهذه الحروف ذات صفة استعلائية وتلك صفيرية. وأخرى فيها تفش ومطبقة ومهجورة أو مهموسة، وأصوات الحروف تنزل منزلة النغمات الموسيقية وتحدث وقعًا في السامع والقارئ، وقعًا يؤدي إلى انفعال نفسي ينتج عنه تنويع درجة الصوت >>[4].

وللإيقاع وظيفته يراها سيد قطب بأنها <<استنفاد للطاقة الشعورية وهو جزء من دلالة التعبير كدلالة المعنوية اللغوية>>[5].

---

(1) – لسان العرب : ابن منظور مادة (و. ق. ع)، ج6، ص : 4897 .

(2) – البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر : عبد الرحمن تبرماسين. ط1 [دار الفجر للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. 2003م] ص : 102.

(3) – الإبلاغية في البلاغة العربية : سمير أبو حمدان، ط1 [منشورات عويدات الدولية، بيروت، لبنان. 1991م] ص 68- 69

(4) – التنغيم اللغوي في القرآن الكريم : سمير إبراهيم وحيد الغزاوي. ط1، [دار الضياء. الأردن. 1421هـ-2000م]، ص : 102.

(5) – النقد الأدبي : أصوله ومناهجه. سيد قطب. ط7، [دار الشروق. بيروت. القاهرة. 1993م]، ص : 64.

ومنه فالقرآن العظيم في تجليه للفيه يتجه اتجاهاً إعجازيا لهذا فخطابه ليس بالعمل الفني المقصود لذاته. بل هو وسيلة لا غير. ومن بين الوسائل التي سخرها نجد الإيقاع الذي تجسد فيه بشكل جلي وواضح. فكان أن جعل منه أداة للتمكين والتأثير قصد الاستجابة والإذعان.

وبما أن للإنسان جانباً وجدانياً فلا مناص من مخاطبة هذا الجانب بلغة النظم الفني، وجماله، وبطريقة خاصة، وأسلوب مميز المتمثل في << تلك الظاهرة العجيبة، التي امتاز بها القرآن في رصف حروفه ، وترتيب كلماته، ترتيباً دونه كل ترتيب ونظام تعاطاه الناس في كلامهم>>[1].

وإن المتأمل في لفظة (نظام). المتمثلة في رصف الحروف وترتيب الكلمات توحي بلا ريب إلى المعطى الإيقاعي في القرآن، ذلك أن تلك العناصر لا تنفك تأتلف إلا بوجود عنصر الإيقاع فيها.

ويلاحظ على هذا الإيقاع القرآني خروجه عن منظوم أشعار العرب وكلامهم.

لذلك تجد فيه اتساقًا وائتلافاً في الحركات والسكنات والمدات والغنات والاتصالات، والسكنات. وهو بذلك يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس. بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم أو منثور[2].

إن تلك الإيقاعية الموجودة في القرآن الكريم. لم نجدها على وتيرة واحدة. بل المتأمل فيها يلفيها مجسدة على ضرب من تشكيلات متنوعة ولدها طبيعة النص القرآني، في جماليته الإعجازية. حيث نجدها في الحرف المدود. اللفظة. الجملة.

---

[1] - مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني، [دار إحياء الكتب العربية. د ت] ج2، ص : 208

[2] - التعبير الفني في القرآن : بكري شيخ أمين. ط1 [دار العلم للملايين بيروت. لبنان. تموز/ يوليو. 1994]، ص : 190 .

* المبحث الأول : الحرف.

إن الإيقاع يقطر من كل حرف من حروف الكلمة ومن ورائها ومن بينها لهذا تداعت حروفه خلال تعابيره، توفيراً لجمال الجرس وتألف النظم إيقاعاً ومعنىعلى طريقة ملفتة للنظر.

وهذه الطريقة لم يسبق لها وجود رغم أن العرب كانوا من أساطين البيان، وفطاحل اللغة ومع هذا لم يستطيعوا الوصول إلى دقة حروف القرآن الكريم. سواءًا في وضعها أو ترتيبها في الكلمات.

لهذا توجد ثلاث خصائص للحروف وأصواتها يرجع إليها الإيقاع في القرآن الكريم :

1 - **حلاوة الجرس** : أي أن الحروف تمتلك حساً أليفا، محبباً في القلوب ورنة حسنة ذات وقع جميل في الأذان .

2 - **عدم التنافر** : ليست ثقيلة في النطق ولا يتعثر بها اللسان.

3 - **التجاوب** : أي أن الحروف في ترتيبها وصياغتها تتداخل ويأخذ بعضها برقاب بعض وكأنما يطلب أحدهما الأخر أو يجَذ به[1].

وبهذا فالحرف في القرآن له دور في إعطاء الكلمة الرونق الخاص بها. من تناسق هذه الحروف في المخارج والصفات والقوة والضعف. والدقة في وضعه الموضع اللائق به. لأن القرآن الكريم يتخير الحرف المناسب للمقام والمقال.

- أولا : تخير الحروف.

إن حروف القرآن ووقعها المميز تخالج شغاف القلوب فتؤثر فيها تأثيراً عجيباً. بغض النظر عن سَامِعِها مسلم أو غير مسلم. عربي أو غير عربي. فقد استهوى هذا الأسلوب ذو الوقع المميز قلوب الناس جميعاً.

لأن القرآن الكريم يتخير حروف الكلمة أحسن اختيار. وينسق بينها أحسن اِتساق. في نظام عجيب يجعلها نازلة على أحسن هيئة في الإيقاع. باختيار مدهش للحروف التي منها الرخوة،

---

(1) - حروف القرآن : دراسة دلالية في علمي الأصوات والنغمات. نعيم اليافي. مجلة الفيصل. الرياض. المملكة العربية السعودية. العدد 102. السنة9. ذو الحجة 1405هـ - أيلول (سبتمبر) 1985م. ص : 104.

والشديدة. والمهموسة وغيرها. وكل هذا يؤلف إيقاعاً قوياً.[1] يظهر عند التلفظ بهذه الكلمات. وأحسن طريقة هي ترتيل القرآن ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل : 04].

وإذا ما حاولنا أن نتمثل هذا الأمر. باستقرائنا لمقاطع منتخبة من سورة مريم. فإننا نلفي أنفسنا أمام حروف متداعية من خلال تعبيرها. مافتئت توفر الحسن والجمال للجرس. وتآلف النظم إيقاعا ومعنى على شاكلة ملفتة للنظر.

فانظر معي إلى دقة القرآن الكريم في استعماله الحروف المعبرة الموحية المثقلة بالمعاني. ففي قوله تعالى على لسان إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَانِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم : 45]، فهذه الآية الكريمة تفوح من كلماتها رائحة النبوة الإنسانية فهو يستميل قلب والده بكلمات رقيقة. لهذا تجد طبيعة الأصوات الرخوة(*) تناسب مقام المُلانية. فلم يذكر-ﷻ- (يصيبك) بل "يمسك" للُطف فِعْلِها من حيث المس. ولِهَمْسِ السين فيها. والخاء والحاء في "أخاف" و"الرحمن". والأحرف اللينة كالواو والياء.

فإذا جاء ردُّ الأب المتغطرس تقرأ كلمات ذات صوت شديد يقول -ﷻ- على لسان آزر ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[مريم : 46] فجرس "لأرجمنك" يوحي بوقع الحجارة على الجسم لوجود النون. وهي ترد فيها ثلاث مرات، ومرة مدغمة باللام فتصير شديدة والجيم كذلك، ووردت الراء مرتين ساكنة، مما يعطي نبرًا قويًا. مضافًا إلى طبيعة هذا الحرف. الذي يتكرر أثناء نطقه. لأنه حرف قوي مَنَعَ النفس أن يجري معه عند النطق لقوته، وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه.

وانظر إلى قوله تعالى في استعمال الحروف بعضها مكان بعض دون حدوث أي خلل، أو تنافر. أو حدوث صوت تمجه الأذان المرهفة، والنفوس المهذبة.

---

(1) - من أسرار التعبير القرآني (حروف القرآن) عبد الفتاح لاشين .ط1 [شركة مكتبات عكاظ، المملكة العربية السعودية. 1403هـ- 1983م]، ص : 43.

(*) - الحروف الرخوة : حرف ضعف الاعتماد عليه، عند النطق به. فجرى معه الصوت فهو أضعف من الشديد. ألا ترى أنك تقول (أسْ) و (اش) فجرى النفس والصوت معها.

ينظر : التمهيد في علم التجويد : محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق : علي حسين البواب ط1 [مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية. 1405هـ -1985 م]، ص : 88.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم : 83] حيث الأز. والهز بمعنى واحد. وهو التهييج وشدة الإزعاج التي يلقونها من طرف الشياطين.

لهذا قال ابن جني <<أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا معنى تهزهم هزًا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة، لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز لأنك قد تهز مالا بال له، كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك>>[1].

وحروف القرآن عندما تتكرر في كلمة واحدة. يكون لها وقع كبير في نفس الإنسان. لأنها قد تعبر عن موقف الحزن أو الخوف، أو الضعف والقوة. وهذا ما نجده واضحا جليا في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [مريم : 20]. نلاحظ في كلمة " يمسسني" تكرار لحرف السين. وما يحمله هذا الحرف الصفات : الهمس(*)، الرخاوة(**)، الإستفال(***)، الإنفتاح(****)، وإذا أمعنا النظر في هذه الصفات، وجدناها صفات ضعيفة. ضعف الاعتماد عليها، لأن مخرج هذه الصفات، ضعف الاعتماد عليه لجريان النفس عند النطق بالحرف.

وبما أن مريم -عليها السلام- في حالة ضعف وخوف ورهبة. من هذا الشخص الذي تمثل لها والذي ضنت به السوء قالت : من أين لي الغلام و لم يمسسني بشر "بتكرار السين". و لم أكن من قبل لا زانية ولا فاجرة.

فالسين كانت موحية ودقيقة في التعبير عن حالة مريم -عليها السلام-. وما اعتراها من ضعف وخوف.

ومن الأمثلة السابقة يتجلى لنا وبوضوح الكيفية التي أتت بها حروف القرآن الكريم حيث كل حرف منه مناسب للمقام والمقال. ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : 82] .

---

(1) – الخصائص : ابن جني، ج2، ص : 146

(*) – الهمس : الخفاء وجريان النفس عند النطق بالحرف.

(**) – الرخاوة : اللين. وانطلاق الصوت عند النطق بالحرف لتمام ضعفه.

(***) – الاستفال : الإنحطاط و الإنخفاظ. بمعنى عند النطق بالحرف ينخفض الصوت إلى قاع الفم.

(****) – الانفتاح : بعد ال[illegible] عن الحنك الأعلى عند النطق بالحرف فلا ينحصر الصوت بينهما.

– ينظر في صفات حروف : سر صناعة الإعراب : أبي الفتح عثمان بن جني. تحقيق : حسن هنداوي. ط2. [illegible]. دمشق. سوريا. 1413هـ - 1993م. ج1. ص : 60-64. والكتاب : سيبويه. ج4. ص : 434-436.

- ثـانيًا : تناسق الحروف وانسجامها.

نجد في القرآن الكريم حروف تتلاءم، في مواضع لا يمكن أن يحدث فيها تناسق عـادة في كلام البشر. كتكرار حرف من الحروف في كلمة واحدة. أو قرب مخارج الحروف مثـل كلمة (الهُعْخُع). التي تحدث صعوبة في النطق بالحرف لثقل مخارجها.

أما حروف القرآن الكريم والكلمة منه تأتي خفيفة على السمع أنيقة في التركيـب. كل حرف منها يصيب موقعه من الكلمة ويقع في أحسن موقع من اللفظ. وهذا بعكـس مقاييس البشر. الذي يوجد في كلامهم الثقل والتعسر في النطق بالحروف أو الكلمات[1].

لهذا كل حرف من حروف الكلمة له صوته المحدد. وكل صوت من هذه الأصوات يمتلك جرسًا خاصًا به. وعلى هذا النحو بات من الطبيعي أن ينسجم هذا الصوت مع أصـوات معينة ولا ينسجم مع أخرى.

وإذا كان من دواعي الإخلال بفصاحة الكلام كثرة توالي الحرف الواحد في الجملة. فإن لذلك شأنًا آخر في آي القرآن الكريم فتأمل معي قول عز من قائل : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا ﴾ [مريم : 09].

فلقد اجتمعت في هذه الآية الكريمة خمسُ قافات. وتكرر حرف اللام سبع مرات، وحرف القاف حرف مهجور قوي لانحباس جري النفس عند النطق به لقوته. وهو حرف مـستعلي[*]، شديد[**]، فإن اجتمعت هذه الصفات [الشدة، الجهر، الاستعلاء]. فذلك غايـة القـوة. له ... وعظمة الخالق. الذي خلق ويخلق من العدم. وحتى مع عدم توفر الأسباب العادية لخلق من ... الزوجين. فقد قال لزكريا << وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا >> فـانظر معـي إلى القافـات الموجودة في القاف والدال. التي تؤكد عظمة الخالق في الخلق. وعظمة هذا الخلـق، فإنـه إذا أراد شيئا قال له كن فيكون. وهذا واضح من استعمالي للحرف القاف القوي بمخرجه وصفاته.

وتأخذ كذلك كلمة "هين"، وما تحمله من سهولة الأمر الذي سيحدث. وهذا ما د...

---

(1) - من أسرار التعبير في القرآن : (حروف القرآن) عبد الفتاح لاشين، ص : 31.

(*) - الاستعـلاء : هو خروج صوت الحرف من أعلى الفم، وذلـك لارتفـاع اللـسان عنـد النطـق بـالحرف ... الحنك الأعلى.

(**) - الشـدة : القوة، المنع، جريان الصوت عند النطق بالحرف، لكمال قوته، وذلك لكمال اعتماد الحرف على ... [illegible] 87، 90.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عليه حروف الكلمة (الهاء، الياء، النون) وما اجتمعت فيها من صفات الضعف كالهمس[*] والرخاوة.

وهذا تذكير للإنسان، الذي استبعد إعادة الخلق. فالعودة عليه من شيء، أهون من الخلق من لا شيء والكل عند الله هين .

ونجد تكرار حرف الياء سبع مرات في قوله تعالى : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : 15].

فإذا قرأنا هذه الآية بتمعن، وأعطينا كل حرف حقه ومستحقه من المخارج والصفات. نتأكد بأن تكرار حرف الياء لم يخل بفصاحة هذه الكلمات، ولم يُحْدِث تنافر ولا ثقل بين حروفها.

لهذا لما قرئ القرآن الكريم على العرب، وهم أهل البلاغة وأساطين البيان، رأوا حروفه في كلماته وكلماته في جمله، تؤلف ألحاناً لغوية رائعة. متناسقة ومتناسبة كأنها قطعة واحدة[1].

وهكذا نجد أن حروف القرآن. هي حروف العرب نفسها. لكن حينما دخلت في كلمة منه كانت كاللآلئ. وحينما سُلِكَتْ في نظمه تحولت إلى جواهر. فهو يتخير حروفها صافية الذوق. سهلة في مخارجها <<ورب حرف واحد ينقُصُ من الكلام. يذهب بمائه ورونقه، ويكسف شمس فصاحته ورب اختصار يطوي الكلام طيًّا يُزهق روحه ويعمِّي طريقه. ويردُّ إيجازه عيًّا و إلغازًا >>[2] . فتبارك الله أحسن الخالقين، الذين جعل هذا حرف ينقر. وذاك يصفر. وهذا يخفي، وذالك يظهر. وهذا يهمس وذاك يجهر .

(*) – لمعرفة شرح هذه الصفات يراجع ص : 74 من هذا البحث.

(1) – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : الرافعي، ص : 214.

(2) – النبأ العظيم : نظرات جديدة في القرآن : محمد عبد الله دراز، [مطبعة السعادة، مصر، 1379هـ-1960م]، ص : 103.

* المبحث الثاني : المـــد ود.

من المعروف أن للأصوات اللغوية وطريقة توزيعها في نسيج العبارة تأثيرًا في إيقاعها شدة، أو لينـــًا، فتكون ذات إيقاع قوي إذا كانت نسبة الأصوات ذات الجرس القوي غالبـــة عليهـــا. وتكون ذات إيقاع رخو. إذا كانت نسبة الأصوات اللينة والضعيفة غالبة عليها.

والنظم القرآني يراعي في توزيع الأصوات وتأليفها ما يناسب المعاني والأغـــراض. ونـــوع التأثير الذي يريد إثارته في نفوس المخاطبين، وألفاظ القرآن على حد تعبير مصطفى صادق الرافعي <<إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة. وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الأخرة تذكر الدنيا. فيهـــا عمادها ونظامها، وتصف الآخرة فمنها جنتها وصرامها. ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب. وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب>>[1].

ولقد لوحظ أن أكثر الأصوات تأثيرًا في المسار الإيقاعي، حروف المد واللين. التي تمتـــاز بخصائص موسيقية، تجعلها أقدر على إحداث تأثيرات نفسية أشبه بالتأثير الـــذي يحدثـــه اللحـــن الموسيقى لهذا <<تبدو فاعلية حروف المد واللين فيما تحدثه من تنوع في الإيقاع بـــين الانخفـــاض والارتفاع ينجم عن طولها المقطعي المناسب، مع هواء الزفير>>[2].

وللتذكير فحروف المد هي : الألف – الواو – الياء .

حـــروف الليـــن هـــي : الواو – الياء – الساكنان قبلهما فتحة.

ويستخدم القرآن المقاطع الممدودة للتعبير عن معان كثيرة. و تـــصوير مـــشاهد مختلفـــة، كالتذكير والتقريع والتهديد، وكمواقف الندم والحسرة، ومواقف الدعوة إلى الخير.

و لقد استخدم القرآن المقاطع الممدودة، في مواقف التلطف في الخطاب والدعوة إلى الخـــير. ومن أوضح الأمثلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَانِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾[مريم :41 – 45].

---

[1] – إعجاز القرآن و لبلاغة النبوية : الرافعي، ص : 30 .

[2] – التنغيم اللغوي في القرآن الكريم : سمير إبراهيم وحيد الغراوي، ص : 111 .

فهذا خطاب يعبر عن الأدب والتلطف في الخطاب. الذي ألتزم بـه إبـراهيم -عليه السلام-. في دعوة أبيه إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام، وتكرار النداء بعبارة "**يا أبتِ**" دليل علـى رقـة الخطاب وصدقه.

وكان للمقاطع الممدودة التي ترددت بكثرة ملحوظـة في الكلمـات تـأثيرًا واضـحًا. في زيادة حظ هذه الآيات من اللطافة والرقة. وهي تتراوح بين المقاطع المنتهية بالألف الممـدودة. والمنتهية بالياء الممدودة وإن كان النوع الأول أكثر[1]: **نبيـا، شيئـا، سويـا، عصيـا، وليـا**...

ومن سحر القرآن أن النغم الصاعد فيه خلال الدعاء يثير بكل لفظة صـورة، و ينـشئ في كل لحن موقعًا للخيال فسيحًا. فنتصور مثلا ونحن نرتل دعاء زكريا شيخًا مهيبًا. علـى كـل لفظة ينطق بها مسحة من رهبة وشعاع من نور، ما تبرح أصداء كلماته تتجاوب معها قلوبنا، بل إن زكريا في دعاءه ليحرك القلوب المتحجرة بتعبيره الصادق عن حزنه وأساه، خوفـًا من انقطاع عقبه وهو قائم يصلي في المحراب ينادي اسم "ربه" ويكرره "**بكرة وعـشيًا**" ويقـول في لوعـة الإنسان المحروم. ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا** ﴾ [مريم : 4-6].

وإن البيان يرقى هنا إلى وصف العذوبة. التي تنتهي في فاصلة كل آيـة ببائهـا المـشددة وتنوينها المحول عند الوقف ألفـًا لينة فهذه الألفة اللينة الرخية المناسبة تناسـقت بهـا : **شـيَبا، وشقيـًّا، وليـًا، رضيـًّا** مع زكريا وهو ينادي ربه نداءًا خفيًا. وعند تكرارها تمخضت عنـها إيقاعية تطريبية تطيب بها النفس ويأسر إليها السمع .

وقد تنبه لهذه الخصيصة الإيقاعية السيوطي. فقال في شأن ذلك <<كثر ختم الفواصـل بحروف المد واللين وإلحاق النون. وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك>>[2].

---

[1] - ينظـر : التناسب البياني في القرآن : دراسة في النظم المعنوي و الصوتي. أحمد أبو زيد [مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء، المملكة المغربية. 1992م]، ص : 325 .

[2] - الإتقـان في علوم القرآن : السيوطي، ج2، ص : 134 .

وكما قال سيبويه << إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون. لأنهم أرادوا مد الصوت>>[1]. ويتركون ذلك إذا لم يترنموا وقال المرادي <<والأصل في حروف المد الألف. لأنها حرف مد. ولأنها أوسع مخرجًا من الواو والياء. وأمكن حروف المد فيه الألف ثم الياء ثم الواو. وهذا مذهب سيبوية. ولذلك اختار بعض القراء تفضيل الألف على الياء. والياء على الواو في التلاوة>>[2].

وهكذا يتضح كيف تؤدي حروف المد واللين. التي تكثر في فواصل القرآن الكريم، وظائفها الإيقاعية والمعنوية فتسهم في بلاغة الآيات وحلاوة الإيقاع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] – الكتاب : سيبوية، ج 4 ، ص 204 .

[2] – الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : غانم قدوري الحمد، ط1، [دار عمار. الأردن. 1424 هـ-2003م]، ص : 441 .

* المبحث الثالث : المفـــردة.

امتاز العرب برهافة الحس، فهم يتأثرون أشد التأثر بما يسمعون وللكلمة قدسيتها. وهـــي تفعل فعلها إلى أبعد مدى، فيحاربون ويصالحون ويصلحون ويكرمون نتيجة سماع كلمات. وهم يستدركون القيمة الموسيقية في القرآن، بسبب معايشتهم لفن الشعر والخطابة واهتمامهم البـــالغ بالكلمة.

وقد قال الزرقاني: <<هذا الجمال الصوتي، أو النظام التوقيعي، هو أول شيء أحسته الأذان العربية، أيام نزول القرآن الكريم، ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منثور الكلام، سواء كان مرسلا أو مسجوعا. حتى خيل لهؤلاء العرب، أن القرآن شعر>>[1].

فاللفظة القرآنية لها جانب كبير في سمو التعبير القرآني. بحيث تقوم اللفظة القرآنيـــة علـــى اعتبارات تجعلها تسمو عن غيرها. لهذا نجد لها ميزات رئيسية ثلاث هي :

1 _ جمال وقعها في السمع.

2 _ اتساقها الكامل مع المعنى.

3 _ اتساع دلالتها لما لا تتسع له عـــادة دلالات الكلمـــات الأخـــرى مـــن المعـــاني والمدلولات [2].

وعليه فالدارس للفظة القرآنية يجد نفسه أمام جوانب تستدعي النظر فيها، ونظرا لطبيعـــة البحث فإني سأقتصر على الجانب الإيقاعي للمفردة القرآنية.

فالكلمة الواحدة في التركيب القرآني تبدو في نظر القارئ أو السامع كلمة واحدة، ولكنها ما إن تخرج من الفم، وتجري على اللسان، وتقع على السمع حتى تنفجر منها أشتاتا من المعـــاني السامية، وأنواعا من الإشارات اللطيفة، وهي على حد واحد من حسن النظم وبديع التـــأليف ولا تزول عن الدرجة العليا من البلاغة، ولها نغم يتذوقه كل فاهم ويدركه كل قارئ، ولا يـــستطيع وصفه ولا تعريفه كما يتذوق الطاعم طعاما طيبا، ولا يعرف اسمه ولا سر طيبـــه[3].

---

(1) – مناهل العرفان في علوم القرآن : الزرقاني، ج2، ص : 206.

(2) – الإعجاز في نظم القرآن : محمود السيد شيخون، ط1، [مكتبة الكليات الأزهرية. القـــاهرة. مـــصر. 1398هـــ– 1978م]، ص : 77.

(3) – ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن : عبد الفتاح لاشين، ط1، [دار الرائد العربي. بيروت. لبنان. 1402هـــ– 1982 م]، ص : 155

فلنرى كيف يستعمل القرآن ألفاظه، لتؤدي المعنى المراد الذي يحتوي السنفس البشرية، فيفرغ بها كل ما يراد به وهو في أوج فصاحته وبلاغته.

- أولا : القوة في التصوير.

إن مصدر القوة في تصوير المفردة القرآنية نجده نابع من داخل العبارة. بما تحمله من مفردات موحية بجرسها وحركتها وبتزاحم أفكارها وقوة مغزاها، وما تحمله من إحكام السبك والتناسق[1].

ومنه نقول إن لجرس اللفظة ووقع تأليف أصوات حروفها وحركتها على الأذن دورا هاما في إثارة الانفعال المناسب، فالإيقاع الداخلي للألفاظ له إيحاءا نفسيا خاصا لدى مخيلة المتلقي، والمتكلم على السواء.

فقرأ معي قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا ﴾ [مريم : 88-91].

فلندرس الأداء الذي قامت به كل من اللفظتين " **يَتَفَطَّرْنَ**" و" **تَنْشَقُّ** " بكل ما تكونت به من حروف ومن صورة ترتيب هذه الحروف، ومن حركة التشديد على الحرف اللهوي "القاف" وعلى الحرف النطعي "الطاء".

وما تشمل عليه هذه المفردات من إيقاع وجرس قوي وما تحدثه عند النطق من قوة في الضغط على اللسان والنفس.

ألا تجد نظام الحروف وصورة أداء الكلمة ذاتها أوحت إليك بالمعنى قبل أن يرد عليك المعنى من جهة المعاجم، أو كتب التفسير.

"**فيتفطرن**" بمعنى "**يتشققن**" والتفطر من فطره، إذا شققه وكرر الفعل فيه[2].

وإن انتهاء كل مفردة بنغمة الدال المشددة تارة، والمخففة تارة أخرى كـ "**ولدا**" و"**إدًّا**"[3]، و"**هدًّا**" يضفي على جو الآيات طابعا من الهول الشديد. لأنها تعبر عن فضاعة ما ينسب إلى الخالق من أولاد تعالى الله عما يصفون علوا كبيرا.

---

(1) - الإعجاز الفني : عمر السلامي، [نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله. تونس. 1980م]، ص : 150.

(2) - الكشاف : الزمخشري، ج3، ص : 44.

(3) - الإد : هو القول المنكر، ينظر : المفردات في غريب القرآن : الأصفهاني، ص : 23.

وسيد قطب يُعدُّ من الذين أجادوا في الوقوف عند اللفظة القرآنية. من حيث بنيتها وفعاليتها في الخطاب القرآني، إذ نلفيه يُعَلِقُ على إيقاعية بعض المفردات والتي لها من الوقع ما يجعل القارئ أو السامع يتحسس لها المعنى قبل معرفته لها في المعاجم اللغوية. فيقول : <<ومن الأوصاف التي اشتقها القرآن ليوم القيامة (الصَّاخَّة) و(الطَّامَّة) و(الصَّاخَة) لفظة تكاد تخرق صماخ الأذن في ثقلها، وعنف جرسها، وشقه للهواء شقا، حتى يصل للأذن صاخًا مُلحًا، و(الطَّامَّة) لفظة ذات دويٍّ وطنينًا يخيل إليك بجرسها المدوي أنها تطم وتعم كالطوفان يغمر كل شيء ويطويه>>[1].

وهكذا ترد كل لفظة في القرآن الكريم، مشبعة بكل المعاني المرادة، فلا تجد غيرها أولى بموضعها منها، فدل ذلك على دقة الألفاظ التي تعبر كل واحدة منها على المعنى المراد أحسن تعبير.

- ثانيا : دقة المفردة.

أشار غير واحد من علماء الإعجاز إلى ما يمتاز به القرآن من دقة وإحكام في اختيار الألفاظ والمفردات.

قال الجاحظ : << وقد يستخف الناس ألفاظًا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلى في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدْقِع، والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام. والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث. ولفظ القرآن الذي عليه نزل انّه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين، ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعًا، والجاري على أفواه العامة غير ذلك. لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال>>[2].

ومنه نلحظ عند تلاوة القرآن المبين حسن انتقاء ألفاظه ودقة اختيارها. فهي ألفاظ تحتال جمالا و تألقًا، وتَنْسَابُ عَذْبَةً في الفم خفيفة على اللسان، تستلذ بها الأسماع، وتهوي إليها الأفئدة.

لهذا يتأنق أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه، ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها، يستخدم كلاً حيث يؤدي معناه في دقة فائقة، تكاد بها تؤمن بأن هذا المكان كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها. وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفير المعنى الذي وفت به أختها. فكل لفظة وضعت

---

[1] – التصوير الفني في القرآن : سيد قطب، [1386هـ – 1966م]، ص : 79-80.

[2] – البيان والتبيين : الجاحظ، ج1، ص : 20.

لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا تجد في القرآن ترادفا. بل فيه كل كلمة تحمل إليك معنى جديدًا[1].

لهذا نجد استعمال الألفاظ في مواضعها المناسبة سمة أساسية في أسلوب القرآن الكريم، بل قد حث القرآن على اختيار الألفاظ، والدقة في التعبير، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة : 104].

ومما يؤكد الكلام السابق نجده واضحا في تفسير الزمخشري الذي عبر عن أسلوب القرآن في انتقاء الكلمات المناسبة للمواقف.

حيث تم تخصيص المؤمنين بالفعل "حشر" وتخصيص الكفار بالفعل "ساق". في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَانِ وَفْدًا، وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم : 85-86].

حيث ذُكِرَّ المتقون بلفظ التبجيل وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته، وخصهم برضوانه وكرامته، وأعطاهم من النِّعم ما لا يعد ولا يحصى وذُكِر الكافرون بأنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عِطاش تساق إلى الماء[2].

كذلك تحس أن للسورة إيقاعا موسيقيا خاصا، وحتى جرس ألفاظها وفواصلها فيه رخاء وفيه عمق : رضيًا، سريًا، حفيًا، نجيًا، تقيًا، زكيًا...

وأما المواضع التي تقتضي الشدة والعنف فنجد اختيار لمفردات توحي دلالتها بالمعنى المراد إيحاءا قويا ومناسبا : هدًا، ضدًا، إدًّا، هزًا، ركزًا، عزًا، أزًا...

لقد تبين مما مر أن القرآن الكريم يختار الألفاظ اختيارا دقيقا ويضعها وضعا فنيا عجيبا، وأن التشابه والاختلاف في قسم من التعبيرات إنما يقتضيه المعنى والمقام.

ويظهر هذا جليا في تنكير وتعريف "السلام" في مواضع دون مواضع. فقد نكره -ﷻ- في تحية الأنبياء والرسل -عليهم السلام-. وقد كان لكل من التنكير والتعريف في النص القرآني،

---

[1] - من بلاغة القرآن : أحمد أحمد بدوي، ط3، [مكتبة نهضة مصر بالفجالة. مصر]، ص : 57.

[2] - الكشاف : الزمخشري، ج3، ص : 42.

مقام كريم وسر عظيم في قصة يحي -عليه السلام- ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : 15].

فليس "السلام" هنا وارد على سبيل التحية وإنما هو حاصل من جهة نفسه على جهة الدعاء، وإشعارٌ بذكر الله. فإن عيسى -عليه السلام- قصد في دعائه الرمز إلى ما اشتق منه اسم الله تعالى إذ "السلام" اسم من أسمائه -سبحانه- مشتق من "السلامة" وكل اسم من أسمائه -سبحانه- ناديته به فيه تعرض لما اشتق منه ذلك الاسم وهو طلب السلامة[1].

ولكن لماذا قيد لفظ "السلام" في قصتي يحي والمسيح -صلوات الله عليهما- بهذه الأوقات الثلاثة ؟.

في قوله تعالى : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : 15]. في قصة يحي -عليه السلام-.

وقوله تعالى في قصة المسيح : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : 33].

إن السبب في تقييد لفظ "السلام" في قصتي يحي والمسيح -عليهما السلام- بهذه الأوقات الثلاثة : أن طلب السلام يكون مطلوبا في مواطن ضعف الإنسان، ومواطن شدة حاجته إلى الله -عز وجل- لأن السلام اسم من أسمائه التي توحي بالرحمة واللجوء إلى الخالق في مواطن الضعف والحاجة.

فذكرت في هذه المواطن الثلاثة لأن السلامة فيها آكد، وطلبها أهم، والنفس عليها أحرص. فقد قُيِّد السلام في الموطن الأول لأن العبد قد انتقل فيها من دار كان مستقرا فيها، مُوَطن النفس على صحبتها وسُكنَاها إلى دار هو معرض فيها إلى الآفات والمحن و البلاء، فإن الجنين من حين خرج إلى هذه الدار قد انتصب لبلائها وشدائدها ولأهوائها ومحنها[2]، ولله در الشاعر حين قال :

---

[1] - من أسرار التعبير في القرآن : (صفاء الكلمة) : عبد الفتاح لاشين، د.ط، [دار المريخ للنشر. الرياض]، ج2، ص: 28.

[2] - بدائع الفوائد : أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، الشهير بابن قيم الجوزية، [دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان]، مج1، ج2، ص : 168.

تأمل بكاء الطفل عند خروجه ∴ إلى هذه الدنيا إذ هُوَ يُولَدُ.

تجد تحتـــه سرا عجيبا كأنـــه ∴ بكلِّ الذي يلقاه منها مهدَّدُ.

وإلاَّ فمـــا يبكيـــه منها و إنها ∴ لأوسعُ ممَّا كان فيه وأرغدُ.

فهذه أمثلة قرآنية تثبت ما امتازت به مفردات القرآن الكريم من الجمال الصوتي، والتناسق الفني والإيقاع الموسيقي والائتلاف المحكم والإيحاء العجيب والتصوير البديع.

مما يدل على أن نظم هذه الألفاظ ليس من وضع البشر وإنما هو شيء فوق مقدورهم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* المبحث الرابع : الجملة

إن جمل اللغة من غير القران العظيم منها ما هو حقيقية، ومنها ما هو مجاز، ومنها متآلف الكلمات ومتنافرها، ومنها واضح المعاني ومنها معقدها، ومنها ما هو موافق للقياس اللغوي، ومنها ما هو خارج عنها، ومنها الجمل الاسمية والفعلية والخبرية والإنشائية. ومنها الجمل المنفية والمثبتة وفيها المتقدمة والمتأخرة والواصلة والفاصلة، إلى غير ذلك من التراكيب العربية.

ولكن أن يجتمع كل من التآلف وموافقة القياس والجمع بين الخبر والإنشاء، والنفي والإثبات، والإيجاز والإطناب.. وما إلى ذلك ما لا يستطيعه البشر لكن الله تعالى هو الذي انتهت إليه الإحاطة بجميع أنواع الخلق وحده، وهو القادر على تضمين كلامه كل المناسبات، وكل المقامات التي اقتضتها الأحوال الكثيرة التي لم يحط ولن يحط بها سواه[1].

ومنه فإننا نجد الجملة القرآنية بناء أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير، وهيكل نسقت لبناته ونظمت أدق التنظيم، فلها وسائل الترتيب ووجوه التنظيم والتركيب لحروفه، وتأليف كلماته، وتنسيق كل جملة مع ما يجاورها، مما يدهش العقول ويحير الألباب، إذ هو أمر فوق الطبيعة البشرية والقدرة الإنسانية، قال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ، وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ، تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحاقة : 41- 43].

ومنه ما هي الخصائص التي تميزت بها الجمل القرآنية ؟ وما هو الدور الذي أدته في الإيقاع القرآني ؟.

- أولا : التناسب الإيقاعي بين المعنى والصيغة.

للقرآن روعة تهز النفوس، وسحر تخشع له القلوب، وقد وصف القرآن نفسه وأثر روعته في النفوس قال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الزمر : 23].

لهذا قد تتعاور مفرداته في التعبير القرآني، فتستعمل مفردة في موطن وتستعمل غيرها في موطن أخر شبيه به، بل في القصة الواحدة قد تستعمل مفردة في موضع، وتستعمل غيرها في

---

[1] - مناهل العرفان في علوم القرآن : الزرقاني، ج2، ص : 203 – 204.

موضع أخر، مع أن القصة واحدة والموقف واحد، كقوله تعالى : ﴿ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [البقرة : 59]. وقال : ﴿ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [الأعراف : 160].

حيث الانبجاس بمعنى الانفجار، والانفجار بالماء أغزر من الانحباس فخالف بين المفردتين مع أن القصة واحدة والموضع واحد[1]. وقوله تعالى في سورة مريم : ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ [مريم : 09]. وقال : ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ [آل عمران : 41].

فقد ذكر في سورة مريم أنه لا يكلم الناس ثلاث ليال، وذكر في آل عمران أنه لا يكلم الناس ثلاث أيام، والأيام غير الليالي بطبيعة الحال.

فإن اليوم من طلوع الشمس إلى غروبها، والليل ما يقابل النهار.

فما حقيقة الأمر أهو لا يكلمهم ثلاثة أيام، أم ثلاثة ليال ؟

والجواب يتضح من سياق الآيات في كل من الموضعين :

قال الله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ، قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [آل عمران : 38-41].

و قال في سورة مريم : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا، قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا، قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ

---

[1] - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : فاضل صالح السامرائي، ط2، [دار عمار. عمان. الأردن. 1422هـ- 2001 م] ص : 122.

امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا، قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا، فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم : 2-11].

ومن سياق هذه الآيات يتبين لنا حقيقة الأمر. فهو لا يتمكن من أن يكلم الناس ثلاثة أيام بلياليهـــن. فمرة ذكر الأيام، ومرة ذكر الليالي، وكل ذلك صحيح فلا تناقض فيه.

فقـــال في آل عمران "ثلاثة أيام" وقـــال في مريم ثلاث "ليال" واليوم هو ما يقابل الليل.

فقـــال تعـــالى : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ [الحاقة : 07].

ودل من ذكر"الليالي" في مريم و"الأيام" في آل عمران أن زكريا -عليه السلام- لا يتمكن مـــن أن يكلم الناس ثلاثة أيام و لياليهن من دون علة أو مرض في حين أنـــه يـــستطيع أن يـــذكر الله ويسبحه في نفسه . فذكر الليالي في آية مريم و ذكر الأيام في آل عمران[1].

وهـــاته الآيات تحمل دلالات أخرى و السياق لا يسمح بذكرها كلها[2].

ونجد سورة مريم يغلب عليها سياق الرحمة في مواضع عديدة. وإذا ما دققنا النظر، وجدنا أن كل لفظة اختيرت بحسب السمة التعبيرية لهذا السياق أو ذاك .

فنجدها تبتدأ بالرحمة ﴿ كهيعص، ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ [مريم : 01-02] بل أننا نجد السورة كلها. تفيض بالرحمة وألفاظ الرحمة تشيع فيها من أولها إلى آخرها.

فقد قالت مريم لرسول ربها الذي تمثل لها بشرا سويا ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : 18]. فقد استعاذت بالرحمن ليرحمها ويقيها السوء. ولم تقل " أعوذ بالله" كمـــا فعل موسى حين قـــال لقومه ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [البقـــرة : 67]، وذلـــك أن السياق في البقرة سياق عقوبة ولا تناسب الرحمة ذاك إذ يقول تعـــالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ، فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة 65-66].

---

(1) – الكشاف : الزمخشري، ج3، ص : 07.

(2) – ينظر : بلاغة الكلمة في تعبير القرآن، فاضل صالح السامرائي، ص : 128-135.

هذا علاوة على أن لفظ "الرحمن" تكرر في مريم خمس عشرة مرة. في مواضع مختلفة وكل سياق يحمل الدلالة الخاصة به[1].

ولم يرد لفظ "الرحمن" في البقرة إلا مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : 163] فوضع كل كلمة في مكانها اللائق بها.

وهكذا تبدأ السورة بالرحمة وتنتهي بالرحمة، ويشيع جوها كله بالرحمة، وتستأثر باسم الرحمن فلا تدانيها في ذلك سورة من السور.

وانظر معي إلى سمو هذا الكلام ورفعته ودقته في اختيار ألفاظه ثم أحكم أيمكن أن يكون هذا كلام البشر.

وبما أن سورة مريم يغلب عليها طابع تقرير التوحيد لله -ﷻ- والترهيب في مواقع، والترغيب في أخرى، فإننا نجد أغلب جملها جمل فعلية قصيرة المقاطع. تخبرنا عن أحوال المتقين والكافرين وما ينتظرهم من نعيم أو جحيم.

ومع هذا نجد في السورة أية وحداة تتسم بالطول عن الأخريات، وهي أية السجدة ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم : 58].

- ثانيا : اختيار الألفاظ وتناسب الفواصل.

إذا كان الله -ﷻ- قال : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل : 04] لكي يبرز بواسطته نغمات الألفاظ ورنينها وحسنها، فلابد أن تكون ألفاظه قد اختيرت لمزية في كل كلمة، وكل كلمة تؤدي ما لها من دور في الجملة القرآنية، وهذا الحكم ينطبق على سائر القرآن الكريم.

وبما أن الفاصلة في نهاية الأمر كلمة، فقد أولاها القرآن الكريم عناية بالغة لأنها تجمع بين وضيفتين : المعنى والإيقاع.

وبلاغة الكلام –كما نعلم– أن يراعى في اختيارها أن تكون قادرة على الوفاء بحق المعنى وحق التناسب الإيقاعي في آن واحد.

ولهذا نرى القرآن الكريم يستعمل صيغة مقام أخرى، ويغير المصادر من وزن إلى وزن من أجل التناسب بين المعنى والإيقاع.

---

[1] – التعبير القرآني : فاضل صالح السامرائي، ط2، [دار عمار. الأردن. 1422هـ– 2002 م]، ص : 249-250.

- ومثال الحالة الأولى :

قام مقام فاعل في فواصل القرآن صيغ كثيرة منها :

- مفعول : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ [الإسراء : 45]، أي حجابا ساترا.

وقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ [مريم : 61]، أي آتيا.

وتوجد صيغ كثيرة لا يسمح المقام بذكرها كلها[1].

ويتوسع القرآن في استعمال المصادر لكي يوفق بين المعنى والفاصلة لهذا استعمل المصدر "عتا" بصيغتين هما :

- عتوا : قال تعالى : ﴿ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان : 21].

وقال : ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ [الملك : 21].

- عتيا : قال تعالى : ﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ [مريم : 08].

والصيغة الثانية وقعت فاصلة والفواصل التي وردت قبلها وبعدها تجري على نحو : خفيًا، شقيًا، وليًا، رضيًا، سميًا، عتيًا...

ومناسبة هذه الصيغة لهذا النسق واضحة، لأنها تنتهي مثل الفواصل الأخرى بالياء مسبوقة بحرف متحرك، منتهية بألف الإطلاق.

وهكذا فإننا نجد القرآن الكريم ينوع في استخدام الصيغ والمصادر لأغراض بلاغية، وللتناسب الإيقاعي، وبذلك يجمع بين الوفاء بحق المعنى وحق الصياغة اللفظية وحسن التعبير.

وهكذا تمضي الجملة القرآنية على الخصوص، وقد كونت من كلمات قد اختيرت، ثم نسقت أحسن تنسيق، فلا ضعف في تأليف ولا تعقيد في كلم، ولكن حسن تنسيق ودقة ترتيب، وإحكام تلاؤم، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : 01]، فسبحان الله الذي تجلت عظمته في كل آية من آيات كتابه. قال فاحكم، وتحدى فأعجز.

---

[1] - ينظر : التناسب البياني في القرآن : أحمد بوزيد، ص : 359-360.

وفي نهاية هذا الفصل نقول إن القرآن الكريم في كل سورة منه وآية، وفي كل مقطع منه وفقرة، وفي كل مشهد منه وقصة، وفي كل مطلع منه وختام، يمتاز بأسلوب إيقاعي غني بالموسيقى مملوء نغما، حتى يكون من الخطأ الشديد في هذا الباب أن تفاضل فيه بين سورة وأخرى، أو توازن بين مقطع ومقطع، متأكدين أن القرآن نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه، إلا أنه متنوع تنوع الموسيقى الموجودة في أنغامه وألحانه، وهذا يظهر جليا أثناء الترتيل.

فسبحان من أنزل هذا القرآن مشبعا لحاجات الجميع، متفقا ومعارف الجميع، مما يدل دلالة واضحة على أنه كلام الله وحده أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا، ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف : 109].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توصلت في هذا البحث إلى مجموعة من النتائج أجملها فيما يـــأتي :

1. عظمة الأسلوب القرآني واحتواؤه على جميع فنون البلاغة مما توصل العقل البشري إلى استنباطها. واحتواؤه على فنون أخرى تعجز النفس البشرية عن اكتشاف مكامنها.

2. إن ما تضمنته سورة مريم من روائع الإعجاز، ولطائف التعبير حقيق بالتأمل والتدبر، لأنّ من يقف على مظاهر هذا الإعجاز يدرك أن القـــرآن الكـــريم وحـــي يـــوحي ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج : 54].

3. إن ما تضمنته سورة مريم من روائع المحسنات بشقيها المعنوي واللفظي. دليل قـــاطع على أن البديع القرآني ليس حلية، وإنّما هو ضرورة تعبيرية ضمن سياق محدد، وقـــد مثلت لذلك من خلال : الطباق. التقسيم، وممّا ورد في ثنايا البحث، ومن خلال إيجاد آيات تحتوي على أكثر من محسن بديعي.

4. روعة الأسلوب القرآني، وتنوع طرائقه في المخاطبة والحوار، ويظهر هـــذا جليًـــا في أسلوب الالتفات، والمزاوجة بين أسلوب الترغيب والترهيب، الذي نجده مجـــسدًا في حديث إبراهيم مع والده.

5. تعدُّ الفاصلة القرآنية أسلوبًا من أساليب التعبير القرآني، وهي تقابل السجع في النثـــر. وهي بمثابة الاستراحة التي يلتقي عندها الكلام. والانتقال من فاصلة إلى أخرى يحدث في نفس المتلقي تشوقًا لمعرفة سر هذا التغير.

ولقد انحصرت فواصل سورة مريم في أربعة أحرف وهي "الياء" "النون" "الميم" "الـــزاي" فالأثر النفسي الذي يتركه الانتقال في الفواصل من "النون" إلى "الميم" هو استراحة المتلقي وتجديد انتباهه.

وأما ختم الفواصل بحروف المد واللين، وإلحاق النون للتمكن من التطريب.

6. تلحظ وأنت تتلو آيات سورة مريم حسن انتقاء الألفاظ ودقة اختيارها. فهـــي ألفـــاظ

تختل جملاً وتأنقًا وتناسب عذبة في الفم، خفيفة على اللسان، تهوي إليها الأفئدة وتستطيبها الأنفس.

7. إنّ الإيقاع ينشأ من تآلف الحروف والكلمات والفواصل القرآنية التي تبدو واضحة في كل آية ومقطع وسورة.

8. إن الباحث كلما تعمق في تحليل النظم القرآني، كلما كشف عن أشياء جديدة، ونرى من الواجب أن تدرس كل سورة وتحلل أساليبها ومعانيها وخصائصها الصوتية واللفظية والإيقاعية. ودراستها دراسة لغوية وبيانية وجمالية عملاً بقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : 24].

وفي الأخير لا أدعي أنني وفيت الموضوع حقه من البحث والدراسة كاملا، وإذا كنت قد قصرت في شيء منه أو عجزت عن الوفاء بما يستوجبه من التمحيص والتحقيق أو الاستقراء والتحليل فعذري أني بذلت غاية الجهد. ولم أدخر وسعًا في التقصي والاسترشاد بأهل العلم، وأنني لم أجد الطريق ممهدًا مطروقًا، وأن النظم القرآني كمال مطلق والجهد البشري قاصر عن كشف أسراره.

وأسأل الله أن ينفعني بهذا العمل. وأن يجعله مما ينفع النّاس، ويمكث في الأرض. إنّه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهـــارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
- البقـرة -		
﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾	59	89
﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾	65	90
﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾	66	
﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾	67	90
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	104	85
﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾	117	02
﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾	124	36
﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾	163	91
﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾	255	48
﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	260	24
- آل عمـران -		
﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	26	42
﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	27	45
﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾	38	25

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ... وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ. ﴾	41-38	89
﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾	43-42	09
﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾	47	18
- النســاء -		
﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾	82	76
- المائــدة -		
﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾	75	09
- الأنعــام -		
﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ﴾	79	53
﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	101	02
- الأعــراف -		
﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾	55	53
﴿ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾	160	89
﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾	205	53
- التــوبة -		
﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾	82	48

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾	127	55
- يـونس -		
﴿ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾	22	16
- هـــود -		
﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	01	92-60
﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾	66	24
﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾	98	21
- الـرّعـد -		
﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾	10	42
﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾	12	32
- الإسـراء -		
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾	29	47
﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾	45	92
- الكهـف -		
﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾	36	28
﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾	109	93
- مـريـم -		
﴿ محـور البحث .... ﴾		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
- الأنبيـاء -		
﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾	89	25
﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾	90	17
﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾	98	21
- النـور -		
﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾	35	35
- الفرقـان -		
﴿ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾	21	92
- النمـل -		
﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾	22	32
﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ ﴾	49	32
- القصـص -		
﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾	55	50
- الـروم -		
﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾	17 18	32
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾	43	53
﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾	55	52

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
- لقمـان -		
﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	25	47
- الأحـزاب -		
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	21	24
- سبـــأ -		
﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾	17	46
- فـاطر -		
﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	16	16
﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾	32	32
﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾	42	55
- الصافـات -		
﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾	22 23	19
- الزمـر -		
﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾	23	88

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
- الـزخرف -		
﴿وَلَنْ يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾	39	19
- الجـاثيـة -		
﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	28	19
- الأحقـاف -		
﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾	09	02
﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴾	35	54
- محمـد -		
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾	24	96
- ق -		
﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾	29	18
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾	37	24
- النجـم -		
﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾	37	36
- الرّحمـن -		
﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾	46	49
- الواقعـة -		
﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾	89	53

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
- الملك -		
﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾	21	92
- الحـاقـة -		
﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾	07	90
﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ، وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	41 43	88
- المـزمل -		
﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾	04	91-75
- القيـامة -		
﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾	30-29	55
- الإنسـان -		
﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾	08	29
- المطففيـن -		
﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾	26	59
- الطـارق -		
﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾	17	54
- اللّيـل -		
﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾	10-05	48

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآيـــــة	رقمها	الصفحـة
- الكـوثر -		
﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾	02-01	24

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- القرآن الكريم : برواية حفص.

- أ -

1. الإبلاغية في البلاغة العربية:
- سمير أبو حمدان. ط1، [منشورات. عويدات الدولية. بيروت. لبنان. 1991م].

2. الإتقان في علوم القرآن :
- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي . د.ط، [دار المعرفة. بيروت. لبنان. د.ت].

3. أثر القرآن في تطور النقد العربي :
- محمد زغلول سلام. ط1، [دار المعارف. القاهرة. د.ت].

4. أسباب النزول :
- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. د.ط، [قصر الكتاب. البليدة. دار الضياء. قسنطينة. د.ت].

5. أسرار البلاغة في علم البيان :
- عبد القاهر الجرجاني. تحقيق : محمد الإسكندراني. ط2، [دار الكتاب العربي، بيروت. لبنان. 1418هـ-1998م].

6. الأساس في التفسير :
- سعيد حوى. ط5، [دار السلام. القاهرة. مصر. 1419هـ-1999م].

7. الإعجاز الفني :
- عمر السلامي. د.ط، [نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله. تونس. 1980م].

8. الإعجاز في نظم القرآن :
- محمود السيد شيخون. ط1، [مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة. مصر. 1398هـ-1978م].

9. إعجـــاز القـــرآن :

- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني . تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر. ط1، [مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. لبنان. 1411هـ-1991م].

10. إعجـــاز القـــرآن والبـــلاغة النبـــوية :

- مصطفى صادق الرافعي. ط8، [المكتبة التوفيقية. مصر. د.ت].

11. الأعـــلام :

- خير الدين الزركلي. ط7، [دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. مايو. 1986م].

12. الإيضـــاح في علـــوم البـــلاغة :

- الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني. تحقيـــق : محمد عبـــد المـــنعم خفاجي. د.ط، [الشركة العالمية للكتاب. بيروت. لبنان. 1989م].

- ب -

13. البـــرهان في ترتيب ســـور القـــرآن :

- أبو جعفر الغرناطي. تحقيق : محمد شعباني. د.ط، [مطبعة قصالة. المملكة المغربيـــة. 1410هـ-1990م].

14. البرهـــان في علـــوم القـــرآن :

- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. تحقيق : محمد أبو الفضل إبـــراهيم. ط2، [دار المعرفة. بيروت. لبنان. د.ت].

15. بـــدائع الفـــوائد :

- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي. الشهير بـــابن قـــيم الجوزيـــة. د.ط، [دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. د.ت].

16. البـــديـــع :

- ابن المعتز. تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي. ط1، [دار الجيـــل. بـــيروت. لبنـــان. 1410هـ-1990م].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

17. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز :

- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. تحقيق : محمد علي النجـــار. د.ط، [المكتبة العلمية. بيروت. لبنان. د.ت].

18. البـــلاغة تطـــور وتـــاريخ :

- شـوقي ضيف. ط1، [دار المعارف. القاهرة. مصر. د.ت].

19. البـــلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية :

- محمد حسن أبو موسى. د.ط، [دار الفكر العربي. مصر. د.ت].

20. بلاغـــة الكلمة في التعبيـــر القـــرآني :

- فاضل صالح السمرائي. ط2، [دار عمار. الأردن. 1422هـــ-2001م].

21. البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر :

- عبد الرحمن تبرماسين. ط1، [دار الفجر للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. 2003م].

22. البيـــان والتبييـــن :

- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تحقيق : عبد السلام هارون. ط2، [مكتبة الخانجي. مصر. 1380هـــ-1960م].

23. بيـــانات المعجـــزة الخـــالدة :

- حسن ضياء الدين عتر. ط1، [دار النصر. حلب. سوريا. 1395هـــ-1975م].

- ت -

24. التبيان في البيـــان :

- الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي. ط1، [دار البلاغـــة. بـــيروت. لبنـــان. 1411هـــ-1991م].

25. التصويـــر الفنـــي في القـــرآن :

- سيد قطب. د.ط، [1386هـــ-1966م].

26. التعبيـــر الفـــني في القـــرآن :

- بكري الشيخ أمين. ط1، [دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. تموزا. يوليو. 1994م].

27. التعبير القرآني :
- فاضل صالح السامرائي. ط2، [دار عمار. الأردن. 1422هـ-2002م].

28. التحرير والتنوير :
- محمد الطاهر بن عاشور. د.ط، [الدار التونسية للنشر. تونس. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1984م].

29. تفسير أبي السعود المسمى : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم :
- تفسير أبي السعود العمادي. ط2، [دار إحياء التراث العربي. 1411هـ-1990م].

30. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان :
- نظام الدين القمي النيسابوري. بهامش كتاب تفسير الطبري. جامع البيان في تفسير القرآن. د.ط، [دار الفكر. بيروت. لبنان. 1398هـ- 1978م].

31. تفسير الفخر. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب :
- محمد الرازي. ط1، [الدار الفكر للطباعة والنشر. لبنان. 1410هـ-1981م].

32. تفسير المراغي :
- أحمد مصطفى المراغي. ط1، [مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. 1365هـ-1946م].

33. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج :
- وهبة الزحيلي. ط1، [دار الفكر المعاصر. بيروت. لبنان. دار الفكر بدمشق. سوريا. 1411هـ-1991م]

34. التمهيد في علم التجويد :
- محمد بن محمد بن الجزري. تحقيق : علي حسين البواب. ط1، [مكتبة المعارف. الرياض. المملكة العربية السعودية. د.ت].

35. التناسب البياني في القرآن : دراسة في النظم المعنوي والصوتي :
- أحمد أبو زيد. د.ط. [مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. المملكة المغربية. 1992م].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

36. التنغيم اللغوي في القرآن الكريم :
- سمير إبراهيم وحيد الغزاوي. ط1، [دار الضياء. عمان الأردن. 1421هـ-2000م].

- ق -

37. حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي:
- شهاب الدين محمد بن محمد بن عمر الخفاجي. على تفسير البيضاوي ضبط وتخريج عبد الرّازق المهدي. ط1، [دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1417هـ-1997م].

- ل -

38. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام :
- أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي. تحقيق : علي محمد البجاوي، ط1 [دار نهضة مصر للطبع والنّشر الفجالة، القاهرة، مصر، دت].

- ن -

39. خزانة الأدب وغاية الأرب :
- تقي الدين أبي علي المعروف بابن حجة الحموي. شرح : عصام شعيتو. ط1، [دار ومكتبة الهلال. بيروت. لبنان. 1987م].

40. الخصائص :
- ابي الفتح عثمان بن جني. تحقيق : محمد علي النجار. ط1، [دار الكتب المصرية. القاهرة. مصر. 1374هـ-1955م].

- هـ -

41. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :
- غانم قدوري الحمد . ط1، [دار عمار. الأردن. 1424هـ-2003م].

42. ديوان أبي تمام :
- حبيب أوس الطائي. فسر ألفاظه اللغوية، محي الدين الخياط. د.ط، [نضارة المعارف العمومية الحليلة. د.ت].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ر -

43. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني :
- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي. تصحيح : محمد حسين العرب. د.ط، [دار الفكر. بيروت. لبنان. 1414هـ-1994م].

- ز -

44. زاد المسير في علم التفسير :
- أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي. تحقيق : محمد بن عبد الرحمن عبد الله. ط1، [دار الفكر. بيروت. لبنان. 1407هـ-1987م].

- س -

45. سر صناعة الإعراب :
- أبو الفتح عثمان بن جني. تحقيق : حسن هنداوي. ط2، [دار القلم. بيروت. لبنان. 1413هـ-1993م].

46. سر الفصاحة :
- أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي الحلبي. تحقيق : علي فودة. ط1، [مكتبة الخانجي. مصر. 1350هـ-1932م].

- ص -

47. صحيح المسلم :
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري. بشرح النووي. ط2، [دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. 1392هـ-1972م].

48. صفوة التفاسير :
- محمد علي الصابوني. ط5، [المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. الجزائر. 1411هـ-1990م].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

49. الصناعتيـــن : الكتـــابة والشعـــر :
- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. تحقيق : علي محمد البجـــاوي. ومحمد أبو الفضل إبراهيم. د.ط، [المكتبة العصرية. بيروت. لبنان. 1406هـ-1986م].

- ط -

50. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز :
- يحي بن حمزة العلوي. د.ط، [دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. د.ت].

- ع -

51. عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية :
- أحمد أحمد بدوي. ط2، [مكتبة مصر. القاهرة. مصر. د.ت].

52. علم البـــديع : رؤيـــة جديدة .
- أحمد أحمد فشل. دط، [دار المعارف. القاهرة. مصر. 1996م].

53. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده :
- ابن رشيق القيرواني. تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ط5، [دار الجيل. بـــيروت. لبنان. 1401هـ-1981م].

54. العيـــن :
- أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيـــق : مهـــدي المخزومـــي. إبراهيم الـــسامرائي. ط1، [مؤســـسة الأعلمـــي للمطبوعـــات. بـــيروت. لبنـــان. 1408هـ-1988م].

55. الفـــاصلة في القـــرآن :
- محمد الحسناوي. ط1، [دار عمار للنشر والتوزيع. عمـــان. الأردن. 1421هـ-2000م].

- ف -

56. فتـــح القديـــر : الجـــامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير :
- أحمد أحمد بدوي. ط2، [مكتبة مصر. القاهرة. مصر. د.ت].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

57. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان :
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن القيم الجوزية. تحقيق : جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط2، [دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1408هـ-1988م].

58. فنون بلاغية "البيان والتبيين". :
- أحمد مطلوب. ط1، [دار البحوث العلمية. الكويت. 1395هـ-1975م].

59. في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم :
- وليد قصاب. ط1، [دار القلم للنشر والتوزيع. دبي. 1421هـ-2000م].

60. في ضلال القرآن :
- سيد قطب. د.ط، [دار الشروق. القاهرة. مصر. 1408هـ-1988م].

- ق -

61. ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن :
- عبد الفتاح لاشين. ط1، [دار الرائد العربي. بيروت. لبنان. 1402هـ-1982م].

- ك -

62. الكتاب :
- أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه. ط2، [مكتبة الخانجي. مصر. 1402هـ-1982م].

63. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :
- محمود بن عمر الزمخشري. د.ط، [دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. د.ت].

- ل -

64. لسان العرب :
- أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور. تحقيق : عبد الله الكبير وآخرون. د.ط، [دار المعارف. القاهرة. د.ت].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

65. المثـــل السائر في أدب الكاتب والشـــاعر :

- ضياء الدين بن الأثير. تحقيق : أحمد الحوفي. بدوي طبانة. ط2، [دار الرفـــاعي. الرياض. 1403هـ-1983م].

66. مجمع البيـــان في تفسيـــر القـــرآن :

- أبي علي الفضل بن الحسين الطبرسي. ط1، [دار المعرفـــة. بـــيروت. لبنـــان. 1406هـ-1986م].

67. المحكـــم والمحيـــط الأعظـــم في اللّغـــة :

- علي بن إسماعيل بن سيده. تحقيـــق : مـــصطفى الـــسقا، حـــسين نـــصار. ط1، [معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية. 1477هـ-1958م].

68. مفتـــــاح العلـــــوم :

- أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي. تعليق : نعيم زرزور. ط1، [دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1407هـ-1987م].

69. المفـــردات في غريب القـــرآن :

- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. تحقيـــق : محمـــد خليل عتياني. ط1، [دار المعرفة. بيروت. لبنان. 1418هـ-1998م].

70. المقـــابلة في القـــرآن الكـــريم :

- بن عيسى باطاهر. ط1، [دار عمار. عمان. الأردن. 1420هـ-2000م].

71. المقـــدمـــة :

- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. د.ط، [مطبعة مصطفى محمد. مصر. د.ت].

72. معتـــرك الأقـــران في إعجـــاز القـــرآن :

- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيـــق : علـــي محمـــد البجـــاوي. د.ط، [دار الفكر العربي. د.ت].

73. **المعجم المفصل في علوم البلاغة "البديع، المعاني، البيان" :**
- **إنعام فوال عكاوي**. مراجعة شمس الدين. ط2، [دار الكتب العلمية. بيروت. لبنـــان. 1417هـ-1996م].

74. من أســرار التعبيــر في القــرآن : **" صفــاء الكلمة" :**
- **عبد الفتاح لاشين**. د.ط، [دار المريــخ للنشر. الرياض. د.ت].

75. من أســرار التعبيــر في القــرآن : **"الفــاصلة القرآنيــة:**
- **عبد الفتاح لاشين**. د.ط، [دار المريــخ. الرياض. د.ت]

76. **منــاهل العرفــان في علــوم القــرآن :**
- **محمد عبد العظيم الزرقاني**. د.ط، [دار إحياء الكتب العربية. د.ت].

77. من بــلاغة القــرآن :
- **أحمد أحمد بدوي**. ط3، [مكتبة نهضة مصر بالفجالة. مصر. د.ت].

78. الميــزان في تفسيــر القــرآن :
- **محمد حسين الطباطبائي**. ط1، [مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت. لبنـــان. 1411هـ-1991م].

79. النبــأ العظيم : **نظرات جــديدة في القــرآن :**
- **محمد عبد الله دراز** . [مطبعة السعادة. مصر. 1379هـ-1960م].

80. **النقــد الأدبي. أصــوله ومناهجــه :**
- **سيد قطب**. ط7، [دار الشروق. بيروت. القاهرة. 1993م].

— ل —

81. النكــت في إعجــاز القــرآن : ضمن (**ثلاث رسائل في إعجــاز القرآن**) :
- **أبي الحسن علي بن عيسى الرماني**. تحقيق : محمد خلف الله أحمد. ومحمد زغلــول سلام. ط1، [دار المعارف. القاهرة. مصر. د.ت].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

82. نهـــاية الأرب في فنـــون الأدب :

- شهاب الدين أحمد بن عبد الله الوهاب النويري . د.ط، [دار الكتـــاب، القاهرة. مصر. 1347هـ-1929م].

• الدوريـــات :

83. الالتفـــات :

- التيجاني بوريقة. مجلة جامعـــة الزيتونـــة، حوليـــة علميـــة إســـلامية. العـــدد 3. 1415هـ-1994.

84. حـــروف القرآن : دراسة دلالية في علمي الأصوات :

- نعيم اليافي. مجلة الفيصل. الرياض. المملكة العربية السعودية. العدد 102. السنة 09. ذو الحجة. 1405هـ - 1985م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الموضوع	الصفحة
▪ المقدمة :	- أ -
- المدخل -	
-I- البديع.....	02
-II- بين يدي السورة.....	08
1 - التسمية.....	08
2 - نزولها.....	08
3 - ترتيبها وعدد آياتها.....	09
4 - مناسبتها لما قبلها.....	09
5 - محاورها.....	10
- الفصل الأول -	
المحسنات البديعية المعنوية في السورة	
▪ المبحث الأول : الالتفات.....	16
- أولا : تعريفه.....	16
- ثانيا : نماذج تطبيقية.....	17
▪ المبحث الثاني : التجريد.....	23
- أولا : تعريفه.....	23
- ثانيا : الفرق بين التجريد والالتفات.....	24
- ثالثا : نماذج تطبيقية.....	24

الموضـــوع	الصفحـــة
▪ المبحث الثالث : التفريـــع.....	26
– أولا : تعـــريفه.....	26
– ثـــانيا : نمـــاذج تطبيقيـــة.....	26
▪ المبحث الرابع : التتميـــم.....	29
– أولا : تعـــريفه.....	29
– ثـــانيا : نمـــاذج تطبيقيـــة.....	29
▪ المبحث الخامس : التقسيـــم.....	29
– أولا : تعـــريفه.....	32
– ثـــانيا : نمـــاذج تطبيقيـــة.....	32
▪ المبحث الســـادس : المبـــالغة.....	32
– أولا : تعـــريفها.....	35
– ثـــانيا : نمـــاذج تطبيقيـــة.....	35
1 – على صيغـــة فعيـــل.....	35
2 – على صيغـــة فعـــلان.....	36
ـ الفصل الثـــاني ـ	
المحسنات البديعية اللفظية في السورة	
▪ المبحث الأول : الطبـــاق.....	42
– أولا : تعـــريفه.....	42
– ثـــانيا : نمـــاذج تطبيقيـــة.....	42
▪ المبحث الثاني : المماثلـــة.....	46
– أولا : تعـــريفها.....	46
– ثـــانيا : نمـــاذج تطبيقيـــة.....	46
▪ المبحث الثالث : المقـــابلة.....	48
– أولا : تعـــريفها.....	48

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الموضـــوع	الصفحـــة
– ثـــانيا : نمـــاذج تطبيقيـــة.....	49
▪ المبحث الرابع : الجنـــاس.....	52
– أولا : تعـــريفه.....	52
– ثـــانيا : نمـــاذج تطبيقيـــة.....	53
1 – جنـــاس الاشتقـــاق.....	53
2 – الجنـــاس النـــاقص.....	54
3 – جنـــاس التصـــريف.....	55
▪ المبحث الخامس : السجـــع.....	60
– أولا : تعـــريفه.....	60
– ثـــانيا : إثبـــات السجع ونفيـــه.....	60
– ثـــالثا : نمـــاذج تطبيقية.....	62

ـ الفصل الثالث ـ
جمالية الإيقاع في السورة

▪ المبحث الأول : الحـــرف.....	74
– أولا : تخيـــر الحـــروف.....	74
– ثـــانيا : اتساق الحروف وانسجامها.....	77
▪ المبحث الثاني : المـــدود.....	79
▪ المبحث الثالث : المفـــردة.....	82
– أولا : القـــوة في التصوير.....	83
– ثـــانيا : دقـــة المفـــردة.....	84
▪ المبحث الرابع : الجملـــة.....	88
– أولا : التناسب الإيقاعي بين المعنى والصيغة.....	88
– ثـــانيا : اختيار الألفاظ وتناسب الإيقاع.....	91

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الموضـــوع	الصفحـــة
▪ الخاتمة.....	94
▪ الفهارس.....	97
- فهرس الآيـات.....	98
- قـائمة المصـادر والمراجع.....	106
- فهرس الموضوعـات.....	117

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
تمكن	تكمن	أ	14
القرن	القرآن	ب	15
أبا	أبو	4	1
جديدية	جديدة	4	الهامش
أرأيت	رأيت	23	11
تكرار	تكرر	37	5
أن	إن	39	2
خير- خير	شر -خير	43	10
عالم	علم	44	الهامش
أنواع الجناس	نماذج تطبيقية	53	1
الانشقاق	الاشتقاق	54	2
متشكالة	متشاكلة	61	4
الروماني	الرماني	61	الهامش
نحسن	نحس	68	2
معنى	معنا	75	5
الألفة	الألف	80	16
تناسب	تنساب	96	1
الإيقاع	الفواصل	119	23

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية